(١) الحالة الحاضرة وأثرها في الناس

« النقط الجوهرية التي في الموضوع »

السنة الالهية في الناس صلاحاً وفساداً . تطبيق الحالة الحاضرة على السنة الالهية لمعرفة الحقيقة . زيادة طغيان الناس بمحاربة بعضهم بعضاً . نزول هذه العبر بالناس بمنزلة كلام من الله لهم ، علاج الحالة الحاضرة ، الانابة الى الله احتماء به وعمل بكتابه وسنة رسوله ، دفاع الله عن المؤمنين ودليل ذلك من الكتاب ، خاتمة الموضوع :

قال الله تعالى : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له . وما لهم من دونه من وال :

جرت سنة الله تعالى في عباده أن يصلح أحوالهم إذا صلحت قلوبهم وأعمالهم ، وأن ينزل بهم بأسه وعذابه إذا فسدت قلوبهم وأعمالهم : فتستطيع الناس أن تعرف منزلتها عند الله تعالى من حالها في الدنيا ، فهل نحن في أمن وسعادة ورخاء ؟ أم نحن في شقاء وتعب وبلاء ؟ اللهم إن كانت الأولى فقد رضي عنا الله تعالى . وإن كانت الثانية فالويل ثم الويل لنا :

نرى أننا الآن في شقاء وعناء ، وخوف وبلاء ، الأمراض تحيط بنا ، وويلات الحرب تهددنا في أوطاننا ، وكساد الحال ينزل بمحصولاتنا حتى لا نكاد نوفي جزءاً مما علينا من الديون ، وأخلاق لا تقل عن حالنا فساداً : قلوب مظلمة . ونفوس متقاطعة ، وبلاء مستحكم وشر مستطير ، وعذاب كبير : ومن هذا نعلم أن الله تعالى لم يسلط علينا كل هذا إلا لأننا قد غيرت قلوبنا ، وبعدنا عن ديننا . وفرطنا في أوامر الله فحاق بنا جزاء ما جنته أيدينا . وما الله بغافل عما يعمل الظالمون :

ومن غريب الأمر أننا لم نكتف بما أنزل الله علينا من البلاء ، بل نزيد عليه أن يقوم بعضنا بمحاربة بعض ، وأن يكيد بعضنا لبعض بوسائل ينكرها الدين ، وتتبرأ منها الكرامة والشرف : وكان الواجب أن نعتبر ونزدجر بما نحن فيه ، ونعمل على الخلاص منه وتلافيه ، فان الله تعالى يكلمنا بلسان الحوادث والعبر التي ينزلها بنا ، لعلنا نستيقظ من سباتنا ، وننتبه من غفلتنا ، فهل من مدكر ؟ ! بلغت الشدة منتهاها ، واستفحل الداء ، ولكنه والحمد لله لم يعز الدواء ، لأن صلاح حالنا ، لايزال فى أيدينا : فان نحن رجعنا الى الله وطهرنا قلوبنا من الغل والحقد والحسد ، واعتبرنا أنفسنا إخواناً مخلصين ، وتواصينا بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وتجملنا بفضائل الدين وآدابه ، إن نحن رجعنا الى ذلك كله فلا يمضى زمن يسير حتى تشرق علينا شمس السعادة ، وترفع عنا تلك النوازل السماوية ، من غضب وآفات ، وبلاء وويلات ، ونعافى من تلك الأمراض التي تهدد حياتنا وحياة أبنائنا ، كما نأمن على أوطاننا من شرور أعدائنا . لأننا بتلك الانابة نكون مؤمنين حقاً ، والله تعالى يقول : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لايحب كل خوان كفور »

فهلموا بنا نتدارك أمرنا بالرجوع إلى ديننا ، فالأمر جد وليس بعدما نحن فيه شدة :

فلنتخذ من رضوان الله ملجأ نتقى به شر الزمان ، وشر عدوان الأعداء وشر أنفسنا : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً »

وفقنا الله تعالى إلى ما فيه صلاح حالنا ، فى ديننا ودنيانا ، إنه على كل شيء قدير .

(٣) الحرب من النذر الالهية للناس

مضمون الآية الكريمة : — استحقاق العالم للعقوبة جزاء لهم على نسيان الله والتشاغل بالدنيا ، وصف شقاء الشعوب الاسلامية وغيرها بالحرب الحاضرة . خوف الناس من الحرب وعدم خوفهم من الله ، بلاء الآخرة أشد من بلاء الدنيا وما فيها من أهوال الحروب ، الحرب نذير من نذر الله في طيها خير للناس . السلامة في التضرع والفرار الى الله تعالى :

قال الله تعالى : أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ، أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون ، أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين . أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم :

. . . في هذه الآية الكريمة ينعى الله على العصاة الذين يجترحون السيئات ويرتكبون المنكرات ، ويعيثون في الأرض فساداً ، ينعي عليهم ذنوبهم ويقول : هل أمن هؤلاء الماكرون المارقون من الدين عذاب الله ؟ وهو قادر على أن يخسف بهم الأرض كما فعل بمن قبلهم من المذنبين الظالمين ، أو يفرغ عليهم عذاباً آخر من حيث لايشعرون به ، أو تتخطفهم يد القدرة وهم ينتقلون في أسفارهم ، ويسعون في مصالحهم ، أو يأخذهم على مخافة بأن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون . أو على أن ينقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته : فقدرة الله محيطة بهم لايفلتون منها ولا يعجزون الله هرباً .

كذلك هو قادر على أن يسلط عليهم الفناء والنقص بأسباب انتشار الأمراض الفتاكة أو الحروب الطاحنة التي لاتبقي ولا تذر : وها هي قد حقت

كلمة العذاب على النوع الانسانى فسلط الله الشعوب بعضها على بعض وألهمهم جلت قدرته أن يخترعوا آلات جهنمية تحصد الأرواح حصداً ، وتصب النيران صباً ، فترمل النساء ، وتيتم الأطفال وتخرب الممالك ، وسلط على بعضهم الجوع والقحط ونقص الثمرات ، وغلاء الحاجيات ، حتى يشعر الناس بأن وراءهم إلهاً قادراً بيده مقاليد أمورهم من سعادة وشقاء ، وقحط ورخاء .

وها نحن أولاء نرى أن كل بقعة من بقاع الأرض تلتهب نارا ويشقى فيها أناسى كثيرون : وقد عمت المصائب فشملت الصالح والطالح ، لأن الصالحين لم يأخذوا على يد المفسدين . فعمهم البلاء :

قال الله تعالى : واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . واعلموا أن الله شديد العقاب .

ومن عجيب أمر الناس أنه كلما اشتد خطر الحرب واتسعت رقعة الفناء ازدادخوفهم وفزعهم حرصاً على حياتهم وحياة أهليهم وأبنائهم . واشتد تعلقهم بأهداب الدنيا : وكان الأولى بهم أن يشتدخوفهم من الله تعالى واليوم الآخر . فما بالهم كانوا يستهينون بنصح الناصحين . وإرشاد المرشدين ولا يسمعون إلى منادي الدين ! !

مابالهم حين رأوا نار الدنيامشتعلة خافوا وفزعوا ! ! وأين هذا الهول من هول يوم القيامة ؟ وأين ذلك البلاء من بلاء الآخرة ؟ ! وقد أراد الله بالناس خيراً فأراهم شيئاً يخيفهم وهم فى الدنيـــا ليرجعوا إلى ربهم تائبين نادمين ، وليتضرعوا إليه تعالى بصفاء القلوب أن يكشف عنهم بلاءه وعذابه :

قال تعالى : « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا . ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

فالفرار الفرار الى الله ، النجاء النجاء . فما نحن فيه الآن إرهاب وتخويف من الله .

فحق على المسلمين أن ينتفعوا بآيات الله ، وزواجر الله ، ويخلصوا نياتهم فى طاعة الله . عسى الله أن يكف بأس الموقدين لهذه الحرب عنهم ، وعسى أن يكلأهم بعنايته ، ويرعاهم برعايته : فاذا لم يزدجروا ولم يؤوبوا الى ربهم فسوف يكونون لهذه النيران حطباً : وما ظلمهم الله . ولكن أنفسهم يظلمون .

(٣) الاصلاح بين الناس

الاسلام نعمة . تعريف الأمة . المنافسة ضرورية في الاجتماع . فائدة إصلاح ذات البين . خير أنواع الصلح . بيان أن التقاضى لايحسم النزاع ولا تصفو به القلوب . النقلة ووجوب التثبت من أخبارهم شرعا . أهم الوسائل التى تصفو بها القلوب :

قال الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة . فأصلحوا بين أخويكم . واتقوا الله لعلكم ترحمون)

اعلموا معشر المسلمين أن الله تعالى قد اختار لكم الاسلام ديناً ، وأرشدكم بفضله الى طريق الهدى وأخرجكم من الظلمات الى النور : ولاريب أن كل جماعة يسكنون بقعة من بقاع الأرض ترتبط مصالحهم بعضهم ببعض ، وتدعو ضرورة المعيشة الى اشتراكهم في كثير من الشئون : وكثيراً مايجر ذلك الى الشحناء والمنافسة ، فتنشأ المشاكل العديدة ، والعداوات والمشاكسات ، ويتبع ذلك العدوان وسلب الأموال وقتل الأنفس : الى غير ذلك مما يهدد الآمنين . ويحزن العاقلين :

ولذلك أوجب الدين الحنيف على العقلاء من القوم أن يتوسطوا بين المتخاصمين ، ويقوموا باصلاح ذات بينهم ، ويلزموا المعتدى أن يقف عند حده ، درءاً للمفاسد المترتبة على الخلاف والنزاع ، ومنعاً للفوضى والخصام :

وخير أنواع الصلح مايقوم به الأفراد أنفسهم من غير حاجة لأن يلجأوا الى المحاكم والتقاضى ، فان الفصل فى المنازعات وإن تم على يد القضاء لايغسل أحقاد القلوب ، ولا يطهر أدران النفوس غالباً . بل كثيراً مايكون سبباً فى تفاقم الشر وزيادته . لاسيما إذا خرج الظالم من بين يد القضاء منصوراً . وخرج المظلوم مخذولا مقهوراً ، بسبب شهادات ملفقة ممن لايخافون الله ، أو ضعف المظلوم إذا كان فقيراً عن مقاومة الظالم إن كان غنياً : أو غير ذلك من العلل المعروفة ، والأسباب التى فشت وأصبحت مألوفة .

ولما كان أكثر النزاع بين الناس مسبباً عن وشايات أرباب المفاسد وسعايات سيئي المقاصد ، أوجب الدين الحنيف على المسلمين أن يتثبتوا من صحة ما ينقل اليهم من الأخبار ، وألا يأخذوا قول الناقلين بالتسليم والتصديق :

قال الله تعالى : يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين .

فالتثبت من صحة الأخبار أمر لابد منه لضعف الوازع الدينى فى النفوس من جهة ، وغلبة سلطان الهوى عليها من جهة أخرى : فتسارع الى التصديق بما تسمع . ويترتب على هذا فساد الضمائر ، وتعكير صفو المجتمع الانسانى : ويجر ذلك الى التقاطع والتدابر ، والتخاذل والتناكر : ومن أجل هذا كانت إزالة الشحناء من نفوس المسلمين والعمل على صفاء قلوب بعضهم لبعض من أهم المقاصد التى يحث عليها الشارع الحكيم ، ويترتب عليها الثواب العظيم :

إسمع إلى الرسول الكريم ﷺ وهو يعظم شأن إصلاح ذات البين ، ويعده أعظم عمل يتقرب به المسلمون إلى ربهم : إسمع الى ذلك لتعلم أن الدين الاسلامى سلام ووئام ، لا تقاطع وخصام ، فقد ورد : عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى . قال : إصلاح ذات البين . فان فساد ذات البين هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين .

وما حض الله ورسوله على إصلاح ذات البين والتوفيق بين مصالح المسلمين إلا لما يترتب على ذلك من سعادتهم وصلاح أمرهم : فان الناس إذا ائتلفت وحل فى قلوبهم الوئام محل الخصـــام ، أفاض الله عليهم بركاته ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة :

وأقوم الوسائل التى تصفوا بها القلوب من أحقادها ، أن يجعل كل امرىء نفسه ميزاناً بينه وبين الناس ، فما يحبه لنفسه يحبه لهم ، وما يكره لنفسه يكرهه لهم : وبذلك يحبه الله تعالى ومن أحبه الله ألقى محبته فى قلوب عباده فيكونون له أعواناً :

هذه هى الطريقة التى كان عليها السلف الصالح من المسلمين ، وكانوا بسبب ذلك من المفلحين .

نسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا من الأحقاد والبغضاء لعباده ، إنه هو البر الرحيم .

(٤) عيوب كثير من الناس

مضمون الآية الكريمة . بعد المسلمين عن دينهم . بعض العقوبات التى أنذر بها القرآن الكريم والسنة المطهرة . المارقون من الدين (ذو الوجهين ، وذو اللسانين ، وشهداء الزور ، وكاتموا الشهادة ، والنمامون ، والخائنون الذين لايؤتمنون على مال أو سر ، والمتسترون على الخونة ، وأكلة الحرام ، والعياجون والكذابون ، والمنافقون ، وقساة القلوب المطبوع على بصائرهم) ما يجب على المسلم لنفسه إزاء هذه العيوب :

قال الله تعالى : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا . فان توليتم فاعلمو أنما على رسولنا البلاغ المبين :

يطالبنا الدين الحنيف بلسان القرآن الكريم بطاعة الله تعالى فيما أمر به ، ونهى عنه ، واتباع نبيه ﷺ فى أخلاقه وسنته ، ويحذرنا من المخالفة :

ويعلم الله أننا قد أصبحنا وليس لنا من الاسلام الا إسمه ، ولا من الدين إلا رسمه :

أما اتباع الأوامر واجتناب النواهي ومتابعة النبى الكريم فى أخلاقه وسنته فلا حظ لنا في شيء من ذلك ، بل يكاد يكون الاسلام ديناً لغيرنا ونحن غرباء عنه : فكم أرشد المرشدون ، ووعظ الواعظون ، حتى بحت الأصوات بمطالبة المسلمين بالرجوع إلى دينهم ، ولكن لاحياة لمن تنادي :

وما كان تحذير الله لنا عبثاً ، فقد أنذرنا بأننا إن خالفنا شريعتنا تعرضنا لأنواع العقوبات التى ذكرها القرآن الكريم ، والسنة المطهرة . وفيهما مانحن

فيه من هذا البلاء الداهم ، والشقاء الدائم :

نقص فى الثمرات حتى كادت الأرض تضن بخيراتها وغلاتهـا ، فنقصت الحاصلات الزراعية نقصاً محسوساً يهـدد بالمجاعات ، وأصيبت الأمم الاسلامية بالرعب من تسلط الأعداء ، مما يهـدد بالخراب والدمار . والفنـاء والتلاشى : وهاهي ذي الأمراض تفتك بنا فتكا ذريعاً . والأعداء تتحكم فينا وتستعبدنا . والرزايا على اختلاف أنواعها تحل بنا فلا نطيق لها دفعاً .

نعم بعدنا عن الدين بعداً شاسعاً . فأكثرنا من ذوي الوجهين الذى يقابل هذا بوجه . وذاك بوجه آخر .

وفينا ذو اللسانين . يتـكلم مع هذا بلون من الكلام . ويتكلم مع ذاك بلون آخر . ولا يبالي بمخالفة دين ولا ضمير :

وفينا شهداء الزور الذين يحلفون على الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون . ويقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم . والله أعلم بما يـكتمون :

وفينا من يكتمون شهادة الحق إذا دعوا إليها . يخافون الناس ولا يخافون الله : وهؤلاء قد برىء الدين منهم . وبرئت الأخـلاق من شرهم . والله تعالى يقول : يأيهـا الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط . شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين . إن يـكن غنيـاً أو فقيراً فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً :

وفينا النمامون أصحاب السعايات بين الناس بالفساد . إذا شعروا بخلاف شجر بين رجلين . أسرعوا باختلاق الـكذب الى المختلفين فأوقدوا نار الفتنة بينهما بدل أن يعملوا ماأمر به الدين من الاصلاح وتهدئة الخواطر ، كأنهم لم يسمعوا

قول الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم . واتقوا الله لعلكم ترحمون » وقوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما »

وفينا الخائنون الذين لا يؤتمنون على مال ولا سر : سارقون مارقون من الدين . يظنون أن الله غافل عما يعملون . والله من ورائهم محيط :

وفينا شر من هؤلاء جميعاً . وهم الذين يعرفون مرتكبي الجرائم ولا ينصحونهم ولا يقفونهم عند حدهم . أولئك يوشك الله أن يعمهم ببلاء جزاء على السكوت على هتك حرمات الله . والله جل شأنه يقول « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . واعلموا أن الله شديد العقاب »

فليتنبه المسلمون فليس بعذر لهم أن يقول الرجل منهم . مالي وللناس . بل ليعلم أنه مسئول عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأن ذلك واجب على الكفاية يأثم الجميع إن أهملوه .

وفينا أكلة الحرام . الذين لا يبالون من أي ناحية ملئوا بطونهم . ولا من أي ناحية كسبوا أموالهم . يفعلون ذلك وهم يعلمون أن كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به . ألا ساء ما يأكلون .

وفينا العيابون الذين لا يسلم من ألسنتهم أحد . فهم مولعون بعيوب الناس مع أنهم كلهم عيوب .

وفينا الكذابون الذين يخترعون الكذب اختراعاً لأغراض سيئة ينكرها الدين . ولا يرضاها رب العالمين .

وفينا المنافقون الذين يخالف ظاهرهم باطنهم . وهؤلاء قد يصل النفاق

إلى عبادتهم . فهى رياء في رياء . لايقبل الله منهـــا صرفاً ولا عدلا — ولا قليلا ولا كثيراً .

وفينا غلاظ الأكباد الذين تحجرت قلوبهم . وصمت آذانهم عن النصائح . فلا يكترثون بالمواعظ . ولا يقيمون وزناً لآداب الدين . أولئك طمس الله على قلوبهم . وتركهم في ظلمات لايبصرون .

وفينا غير هؤلاء وهؤلاء ممن يتولى الله هدايتنا وهدايتهم . فمن يهد الله فما له من مضل . فليفكر كل واحد منا فى حقيقة أمره . فان وجد فيه نقصاً دينيـاً فليتدارك أمره وليستعن بالله على إصلاحه . وإن وجد خيراً حمد الله وازداد طاعة وإخلاصاً . فوالله مابعد الموت من مستعتب . وما بعدهذه الدار إلا الجنة والنار .

أعاننا الله تعالى على إصلاح أنفسنا وتقويم اعوجاجهـا . فقد أفلح من زكاها وطهرها بالطاعة . وقد خاب من دساها ودنسهـا بالمعاصى . وإلى الله عاقبة الأمور .

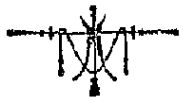

(٥) الاضرار بالناس

الاضرار بالناس وجزاؤه وسببه · جزاء الظالمين حتم وإن أمهلوا · دليل ذلك من السنة · مثل فى الايذاء والاضرار · تقليع الزرع · تسميم المواشى · المحاربة بالنار · السرقة · التحذير من الاضرار بالناس ·

قال الله تعالى « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » .

اعلموا أن الاضرار بالناس مستوجب لغضب الله تعالى · ومستنزل سخطه على المؤذى ·

وسبب ذلك أن الله تعالى خلق الدنيا لحكمة لاتدركها الأفهام . وجعل العدل بين الناس نظامها . وأحكام الشرائع قوانينها · فمن خالف ذلك فهو من الخاسرين ·

حق على الله تعالى أن يقصم ظهر المؤذى لخلقه وأن يقهره · لأنه استهان بربه · والعالمون عبيد الله ، وهو أغير عليهم · وحاشا أن يجترىء أحد على عبيد رب الأرباب · ويترك بلا عقاب · على أن من يضمر أذى الخلق حق على الله تعالى أن يسلط عليه صنوف المهانة والخسران · فان ربكم عزيز ذو انتقام ·

محال أن يفلت مؤذ للناس من غضب الله وعذابه مهما أمهل من جانبه · فان الله تعالى يمهل الظالمين ولا يهملهم · ولذلك قال رسول الله ﷺ « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » جعل ذلك انتقاماً منه على بغيه وظلمه · وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ·

ونسوق إليك على سبيل التمثيل أنواعاً من الأضرار التي يأتيها بعض من لاخلاق لهم من الناس ، إذ أن إحصاء خواطر هذه النفوس الشريرة وتفننها فى أنواع الآثام ، لايتسع اليه هذا المقام .

فمنها تقليع الزرع ، وذلك يحصل عادة إذا اشتجر الخلاف بين أسرتين من سكان (القرى) إحداهما أضعف من الأخرى ، أو مساوية لها في البطش والقوة ولا سبيل إلى أن تواجهها الشر علانية ، فتعمل على الاضرار بها خفية : فينبري شرير من أفرادها ، وغالباً ينضم اليه فريق على شاكلته ومن أنصاره ، ويعمدون الى الزرع — وقد نبت وترعرع وأصبح يرجى خيره — فيهبطون عليه ليلا . ويقتلعونه اقتلاعاً ثم يفرون تحت جنح الظلام .

ومنها تسميم الماشيـة حيث يعمد الأشقياء الى تقديم مادة سامة تأكلها الماشية فينزل بها الموت بعد أن تذوق من الآلام أمرها ، فتصعد روحها شاكية الى خالقها من ذلك الطغيان الأثيم ، والعذاب الأليم .

كذلك مما يأتيه هؤلاء الفجرة الآثمون من أنهم يؤذون الناس بوسيلة لايقف ضررها عند حد ، بل ربما تعدى الضرر الى من لاذنب له ولاجريرة ، وهذه الوسيلة هي النار ، فتارة يشعلونها ويرمون بها فى الغلال وهى فى غيطانها أو بعد حصادها ، وتارة يضعونها في بيوت أعدائهم : فاذا اندلع لهيبها واتسع مداها وساعدتهـا الرياح أكلت الحرث والنسل . وأتت على البلد جميعه من بريء وأثيم .

ولا ننسى أن النار التى أشعلهـا هؤلاء المأفونون ، قد أكلت فيما أكلت أقوات الناس وما ادخروه لمعاشهم : وقد تلتهم أطفالا صغاراً ، وشيوخاً كباراً عاجلتهم فلم يجدوا الى النجاة سبيلا .

ومنها خطف الأطفال ، بل وخطف الرجال أيضاً . وهذا نوع من الجرائم والاضرار بالناس فشا وانتشر فى البلاد . تنشره الصحف اليومية كثيراً . وتبذل فيه الحكومة المصرية عناية كبرى لضبط العصابات التى تتألف من أشرار الناس لارتكاب هذه الجريمة .

ومن ضروب الأثم والاضرار بالناس السرقة . وهى سلب مال الغير من غير حق شرعى ، وآفة السرقة أكثر الجرائم وجوداً ، وأكثرها انتشاراً :

والسرقة عمل أنكرته كل الشرائع ، وذمه كل الناس . فمن اعتدى على ملك غيره وحرمه ثمرة جهوده والاستفادة منه على أي وجه ، كان مجرما آثماً ، وليس السارق وحده هو الخائن . بل يشاركه في الجرم كل من يساعده على السرقة بتشجيعه أو باخفاء المسروق .

والسرقة مضار شتى . بين اجتماعية ، واقتصادية ، وخلقية ، وجسمية ، ومرتكبوها طوائف عدة ، تخصص كل فريق بسرقة نوع مخصوص .

فمنهم من يسرق الماشية ليس غير . ومنهم من يسرق خزائن المال . ومنهم الهجامون . والهفافون . والنشالون . والخطافون . والسارقون بالاكراه . والمستعينون بالكلوروفرم والمواد المخدرة . إلى غير ذلك من الطرق الغريبة المدهشة : وستفرد لذلك موضوعا خاصاً به .

فاجتنبوا الاضرار بالناس لا رحمة بالخلق . ولكن خوفاً على أنفسكم من أن يصب الله عليكم جام غضبه . فتصبحوا على مافعلتم نادمين .

وعلى العموم . فمؤذي الناس بأي حال من الأحوال ظالم أثيم . ومعترض على الله فى نظامه . ومجترىء عليه فى أحكامه . فلا يغرنكم الأمن والأمل

فتخرجوا بمعاداة بعضكم بعضاً وإيذائكم لأنفسكم عن نطاق الدين . فمن خرج عن نطاق الدين فقد هوى .

وراقبوا الله في كل عمل تعملونه . فان مراقبته تصد عن الاعتداء وتهدى الى الطريق السوى . والحياة سوق قام ثم انفض . ربح فيه من ربح . وخسر فيه من خسر .

فلا تكونن أيها المسلم أخسر الناس صفقة يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . والأمر يومئذ لله .

(٦) بعض أسباب مايعانيه الناس من البلاء ووصف مايرفع ذلك عنهم من الدواء

فترة الحياة وإن طالت قصيرة . من الجهل تضييع سعادة دائمة ، في جنب لذة خسيسة نافدة . أخوة الدين شرط لتحقيق الايمان . روح الايمان الرحمة وقد خلت منها القلوب . حلول الغل والبغضاء محل الرحمة اليوم . دخول الجنة موقوف على الايمان بالله . الايمان بالله موقوف على محبة المسلمين بعضهم لبعض . حال الأنصار مع المهاجرين . بوادر غضب الله على من مرقوا من المسلمين من تعاليم دينهم . ما نزل من البلاء الآن بالناس أخف بكثير مما ينتظر لهم إن داموا على عصيانهم وطغيانهم . عظة بالموت وبيان أنهم لم يأخذوا من دنياهم إلا ماعملوا :

قال الله تعالى : (قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلا)

جلت قدرة الله تعالى ونفذت مشيئته . قدر لكل نفس مدة تقضيها في الدنيا ثم تنتهي الى مصيرها . وهذه المدة التي نسميها مدة الحياة قصيرة بالنسبة الى عمر الدنيا

وكان الواجب على الانسان وقد عرف أنه مخلوق لله ، وخاضع لسلطان الله ومسئول فى الآخرة عن عمله ، كان الواجب عليه ألا يضيع سعادة أبدية فى جنب حياة وقتية ، ولكن الانسان ظلوم كفار :

يأمرنا الله تعالى بأن نكون إخوة فى الدين ، متعاونين متحابين ، ويجعل ذلك الاخاء والمحبة شرطاً لتحقيق الايمان ، وأن من لايتصف بذلك فليس من الدين في شيء : فهل عملنا على ذلك وحققناه ، ونحن نسمع قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » ؟ وهل رحم بعضنا بعضاً ؟ وأشفق بعضنا على بعض ؟ أم نحن متنا كرون يحب بعضنا لبعض الضرر والمكروه ؟ ونحن نسمع قول الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » فأين موضع هذه الرحمة من قلوب المسلمين اليوم ؟

لقد خلت هذه القلوب من معاني الرحمة التى هي الايمان . وحل محلها الحقد والغل والبغضاء والشر ، وأصبح كل يريد أن يأكل أخاه لقمة سائغة ، بل يريد أن يغلق دونه أبواب الرزق والخير إن استطاع الى ذلك سبيلا .

ألم نسمع غير مرة قول الرسول الكريم ﷺ : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولن تؤمنوا حتى تحابوا » ؟! فقد جعل عليه الصلاة والسلام دخول الجنة موقوفاً على الايمان بالله ، وجعل الايمان بالله موقوفاً على محبة المسلمين بعضهم لبعض : فاذا زالت المحبة من القلوب زال عنها الايمان . واستحق صاحبها من الله تعالى العذاب الأليم .

وليس معنى المحبة إلا تعاطف القلوب ، والتعاون على فعل البر والاحسان ودفع الشر عن المسلمين ، وأن يحب كل واحد لاخوانه مايحبه لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها .

والدين يحدثنا والتاريخ ينبئنا أن المهاجرين لما نزلوا على الأنصار في المدينة أفسحوا لهم الصدور ، وأسكنوهم في منازلهم ، وفرحوا بمقامهم معهم . وشاطروهم أموالهم وملابسهم وخدمهم عن رضي واختيار « كما جاء بذلك القرآن الكريم » لأن نور الاسلام وهدايته أشرقت على قلوبهم فجعلتهم نفساً واحدة في أجسام متعددة .

فأين نحن من تعاليم ديننا وشريعة نبينا ! ؟

لقد أصبحنا نضمر العداوة بعضنا لبعض . ونكره الخير بعضنا لبعض ، ونتمنى المصائب والمكاره بعضنا لبعض حتى صب الله علينا من أجل ذلك غضباً لا نعلم مداه .

ففي كل ناحية نلتفت اليها نجد نوعاً من العذاب . وصنفاً من العقاب . بهديد بصواعق من السماء محرقة . وخوف من أعداء ممحقة ساحقة . وجنود من جنود الله مسلطة على الأجسام والمزارع موبقة . وتهديد بالمجاعات . وقلة في الأقوات . الى غير ذلك من المهلكات . فهل من مدكر ! ؟

وما يدرينا ! ! لعل كل هذه الأنواع من العذاب مقدمات لهول أفظع وهلاك أشنع . إذا لم نتدارك أمورنا . ونتواصى فيما بيننا بشريعة نبينا . ونطهر قلوبنا من الغل والحسد والحقد والبغضاء للناس . ونتراحم فيما بيننا . عالمين أننا الى الله راجعون . وعما قدمنا مسئولون . وعن أعمالنا محاسبون . وأن من سبقنا لم يأخذ من الدنيا لا قليلا ولا كثيراً . بل طوته أيدي الردى وانتقل الى الدار الآخرة خالياً من كل شيء إلا أعماله : فهو بها بين حالين . إما شقاء دائم إن كان من الضالين . وإما سعادة ونعيم . إن كان من الصالحين .

فرحم الله امرءا تفكر فاعتبر . ونظر بعين الفكر فازدجر . فمن يرد الله

أن يهديه يشرح صدره للاسلام . ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء . كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون . وهذا صراط ربك مستقيما . قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون .

نسأل الله تعالى وهو مقلب القلوب أن يثبت قلوبنا على الايمان . وأن يغرس فيها الحب للمسلمين . وأن ينزع من قلوبنا الغل والحقد والحسد الدفين . وأن يملأها إيماناً ومحبة للمتقين . إنه ولى المؤمنين .

(٧) اعتذار الناس فيما يأتون ويذرون

قولهم : « أكثر الناس كذلك يفعلون »

مجمل تفسير الآية الافتتاحيـــة . أكل القوي الضعيف . أكل الربا والتكالب على الدنيا والانغماس في الشهوات . البيع على البيع طمعاً فى الربح . منع الزكاة وترك الصلاة والتهاون بحقوق الله . الرياء والملق تغطية للحقد والحسد انتهاك حرمات الله فى المساجد . الخيانة في الأموال والأسرار . الحجـة التى يتعلقون بهـا داحضة . التأسى بالناس فى الفساد مهلكة . العصاة في الآخرة أعداء ألداء . وإن كانوا فى دنياهم من الأصدقاء الأخلاء . نتيجة عمل المفسدين مهلكة لهم يوم الدين . الاشتراك العام بين المجرمين ـ سهل عليهم ما هم فيه من الضلال المبين . فكان الكل من الهالكين . وصاة للمؤمن بانقاذ نفسه من النار . وأنه مسئول في الآخرة عما اقترف من الأوزار .

قال الله تعالى : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون »

. . . آية حكيمة تفسر لنا مافيه الناس من ضلال وما انغمسوا فيه من شهوات :

وقد استطاع الشيطان أن يلهمهم حجة يحتجون بها . وسنداً من الكذب يعتمدون عليه : ألا وهو قولهم « أكثر الناس كذلك يفعلون » .

يأكل القوى حق الضعيف متعللا بأوهام لا أصل لها . فاذا ما ناقشته وخطأته فيما فعله قال لك فى النهاية « أكثر الناس كذلك يفعلون »

يأكل الناس الربا وينغمسون في الشهوات ويتكالبون على الدنيا فيجمعونها من حلال وحرام فاذا ناقشتهم . وبينت لهم أخطاءهم وزيغهم عن الطريق الصواب قالوا لك فى النهاية : « أكثر الناس كذلك يفعلون »

يبيعون سلعتهم بيعاً صحيحاً . فاذا لاحت لهم بارقة طمع . باعوا هذه السلعة بيعاً ثانياً ، أو ثالثاً ، طمعاً فى الربح غير المشروع : فاذا بينت لهم الحق من الباطل هذا غدر وفساد وأكل لأموال الناس بالباطل أجابوك أكثر الناس كذلك يفعلون

يمنعون الزكاة ويتركون الصلاة . ويتهاونون بحقوق الله . ويحرصون على الدنيا . غارقين فى بحار الأمل الكاذب . فاذا نصحت لهم هزوا رؤوسهم كالمتعظين وإذا خلوا إلى أنفسهم كانوا شياطين .

فان ضيقت الخناق عليهم فيما يعملون . قالوا : (أكثر الناس كذلك يفعلون)

يمتلىء قلب الواحد منهم غيظاً وحنقاً . كما يمتلىء صدره حسداً وغلا لأخيه المسلم . فان قابله كان ابتسام ومصافحة وتملق وثناء حتى يخيل للرائى أنه صديق حميم وأخ خالص المودة ، وهو في الحقيقة ونفس الأمر عدو مبين . فاذا عبت عليه هذا الرياء وهذا الملق قال : أكثر الناس كذلك يفعلون :

ينتهكون حرمات بيوت الله . ولا يرعون لله حقاً في مساجده فيتخذونها مكان لغو ورفث ونوم ويحدثون فيها من الهرج والجلبة والضوضاء مايحدثون

فاذا نهيتهم . قالوا : أكثر الناس فى بلاد الله كذلك يفعلون :

تأتمنهم على الأموال أو على الأسرار . فاذا هم خونة سارقون . وللاسرار مفشون . ولما أخذوه منكرون . وبالأيمان الكاذبة حالفون (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله : إنهم ساء ما كانوا يعملون) وفى النهاية يقولون : أكثر الناس كذلك يفعلون .

وفى كل مايرتكبون من المنكر ويأتون من الموبقات إنما في هذا كله يعتمدون على قولهم « أكثر الناس كذلك يفعلون » : كأنما هذه الحجة الداحضة آية قرآنية بها يستشهدون . وعليها يعولون : فمتى كانت جريمة المجرم عذراً للناس فى أن يرتكبوا ماارتكب ويفعلوا مافعل ؟ ! ! ومتى كانت مخالفة الناس للدين مبررة لانتشار الفساد من الآخرين ! !

إن الله تعالى يقول وقوله الحق وبيانه الفصل : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » كما قال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » . ويوم القيامة لايجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، وكل واحد مسئول عما اقترف ، محاسب بما قدم وأخر : ولكنها حجة من غلبه الشيطان ، واتخذته الدنيا عبدا من عبيدها ، يضحي بسعادته الدنيوية والأخروية في سبيلها .

نعم يضحى بسعادته في الدنيا ، لأن الربح الذي يناله من طريق الضلال لاغناء فيه ، ولو أنه استبدله بربح مشروع لكان هنيئاً مريئاً ، ولعاش به سعيداً ، ومات به حميداً ، أما فى الآخرة فسيعاقب عليه عقاباً شديداً .

إن الناس أنس بعضهم ببعض ، ورأوا أن الفساد قد عم وانتشر . وأن الشيطان قد اتخذهم مطية ذلولا فجعلوا يطمئنون أنفسهم بهذا الاشتراك العام في

الضلال ، ويتأسى بعضهم ببعض في هذا الهلاك المبيد : ويوم القيامة ترى الأخلاء منهم لبعضهم ليعض عدو ، يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضاً ومأواهم النار ومالهم من ناصرين .

أيها المؤمن : عليك نفسك ، فقيها شر النار . وعرفها أن الناس كلهم لايستطيعون يوم القيامة أن يخلصوها من عقابها اذا استحقت عقاباً ، ولا ينفعها هناك أنها قد كان لها شركاء كثيرون فيما ارتكبته من الآثام ، فسيكونون معها في العقاب كما كانوا معها في الضلال .

أرشدنا الله الى نور الهداية وباعدنا عن الغواية والغواية ، وهدانا إلى صراطه المستقيم .

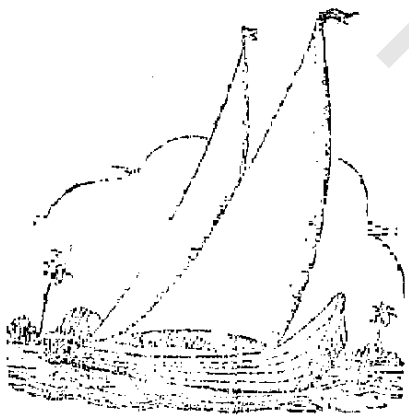

(٨) سنة الله مع العباد
فى حالتى الصلاح والفساد

سنة الله مع خلقه إذا استقاموا • سنته مع خلقه إذا اعوجوا • تعداد عقاب العاصين (وتحجر القلوب بالقسوة • عمى البصائر • التمادى في الضلال • بغيهم على بعض • حرصهم على الدنيا ومايترتب عليه من تضييع حقوق الله وحقوق العباد • تسلط الأمراض على أجسامهم • تسلط الآفات على مزروعاتهم تسلط أعداء الدين على ديارهم وأموالهم) •

دواء القسوة (التفكير في هول الموت • التفكير فى هول المحشر • التفكير فى رهبة الله عند لقائه • الجلوس بين المقابر والتفكير في مصير أهلها) • صلاح القلب وفساده وآثار كل • استشهاد دينى على فلاح من ينتفع بخير ما يسمع • التحذير من حلم الله وعدم تعجيل العقوبة • البلاء الذي فيه الناس اليوم إنذار بالعذاب لاعذاب — إن لم يفروا الى الله • النصح بالأنابة ومعالجة الناس نفوسهم وإصلاح أمرهم وأمر ذويهم •

قال الله تعالى : « إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم • وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له • وما لهم من دونه من وال »

. . . يالله ! ! كم أرشد المرشد ، ونصح الناصح ، والقلوب فى أكنة ، والأسماع في وقر ، وها هو رب العزة يقول لكم في جلاء ووضوح : إن نظامى مع خلقى في جميع الأزمان واحد لايتغير مع كل الأمم ، وهو أنى أعاملهم بمقتضى أحوالهم وقلوبهم ، فان كانت نفوسهم زكية طاهرة بعيدة عن

الدنس والخطايا ، وأعمالهم على مقتضى شريعتى ودينى الذى جعلته طريقاً لهم — كان لهم من جزاء فى الدنيا مطابق لما هم عليه . فأوسع أرزاقهم ، وأبارك لهم في مكاسبهم وفى حياتهم وفي أبنائهم ، وأحفظهم من كل مخوف ، وأجازيهم فى الآخرة بما أجازى به الصالحين من أوليائى .

وعلى عكس ذلك إذا فسدت قلوبهم واستلأت بغياً وحسداً ، وحادوا عن شريعتى التى أوجبت عليهم العمل بها ، فجزاؤهم أن تصاب قلوبهم بالقسوة والعمه حتى تصير متحجرة لا تنتفع بوعظ ولا إرشاد ، ولا ترهب حساباً ولا عقاباً ، فاذا صارت قلوبهم كذلك ، وعميت بصائرهم ، تمادوا فى ضلالهم ، ودبت فى قلوبهم عقارب الحسد والبغضاء بعضهم لبعض ، وسلطت على نفوسهم الحرص على الدنيا ليمنعهم ذلك الحرص من أداء حقوقى التى أوجبتها عليهم ، وسلطت على أجسامهم أنواع الأمراض المختلفة ، والأوبئة الفتاكة : وسلطت على مزارعهم الآفات التى تفتك بها ، وسلطت عليهم أعداء دينهم يغتصبون أموالهم وديارهم ويسومونهم الذلة والهوان ، ويحرمونهم نعمة الراحة والأمان .

ذلك بأنهم حاربونى بالمعاصى فحاربتهم فى دنياهم ، وسوف يصلون في الآخرة عذاب الجحيم .

أيها المسلمون : عالجوا قلوبكم من هذه القسوة بالتفكير في هول الموت وهول المحشر ، ورهبة الله عند لقائه ، فاذا لم تلن قلوبكم بهذا فاذهبوا إلى المقابر واجلسوا بين الموتى ، وتصوروا وأنتم جالسون أشخاصهم ، وما كانوا عليه في الدنيا ، وكيف انتقلوا منها الى هذه الأجداث ، لتعلموا أن مصيركم كمصيرهم ، وأن قسوة قلوبكم ، عقاب أشد عقاب على معاصيكم .

ألا وإن القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسم كله ، ومتى صلح الجسم صدرت عنه الأعمال الصالحة ، فاذا فسد القلب فسدت الجوارح كلها ، فلا يصدر عنها إلا سيىء الأعمال وخسيس الخصال .

ولا يصلح القلب إلا بالتوبة والانابة والرجوع الى الله . والعمل على مخالفة النفس والهوى ، فهل ستعملون بما تسمعون : أم أنتم فى غوايتكم تعمهون .

قال تعالى : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله . وأولئك هم أولوا الألباب » « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون »

إن الله حليم لا يعجل . ولكنه يمهل ولا يهمل ، فاذا تمادى قوم فى المعاصى ، وأنذروا عقاب الله مرة بعد أخرى ، ولم يرجعوا الى صوابهم ، ولم يتداركوا أمرهم ، أخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وصب عليهم البلاء صباً .

فاذا كنتم الآن فى شىء من عذاب الله . فاعلموا أنما هذا قطرة من بحر ينتظركم « إن لم تفروا الى الله » وما أنا إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد .

أفيقوا من غفلتكم . وليطهر كل واحد منكم قلبه وضميره مخلصاً لله . وليصلح شأن أهله وولده على مقتضى الدين : واضرعوا الى الله تعالى ، أن يوفقكم لمرضاته . وأدوا حقوقه كاملة . يحيكم حياة طيبة . ويغفر لكم ذنوبكم . والله غفور رحيم .

أعاذنا الله وإياكم من سطوة الله تعالى وغضبه . وألهمنا العمل برضاته . فانه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(٩) الغافلون عن الآخرة وسوء مآلهم

أسباب صرف الناس عن أمر الآخرة · من عادة الدنيا أن تشغل عن أمر الآخرة وتطغى · ودليل ذلك : قد يعذر الأغنياء ولا عذر للفقراء · نكبات الفقير العاصي : نسيان الله تعالى هو سبب هذه النكبات · حرمان من نسي الله من راحة الدنيا ونعيم الآخرة · شبهة والرد عليها · وبيان أن مايأتيه الانسان صور عبادة وليست عبادة حقيقية · بيان يصور حال الناس على ما هي عليه وينبههم ليستيقظوا · حقيقة الدنيا مع الطائعين والعاصين ونظام الله في ذلك · طريق خلاص الناس من بلائهم الحاضر (آية قرآنية) ·

قال الله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث · ذلك متاع الحياة الدنيا · والله عنده حسن المآب » .

. . . هذه الآية الكريمة جمعت أسباب غفلة الناس عن أمر الآخرة ودلت على أن حب الدنيا وشهواتها والتكاثر بالأموال والأولاد وما اقتنوه من أنعام ومواش وأراض وعقارات . كل ذلك كان فتنة لهم . زينه الشيطان في أعينهم فشغلوا به عن تدبير أمر آخرتهم .

نعم إن الدنيا إذا تزخرفت للانسان أطغته : يقول الله تعالى : « إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ·

وقد يكون للأغنياء الذين جمعت لهم أسباب الثروة من مال وجاه ومتاع قد يكون لهم عذر في التشاغل عن أمر الآخرة . فما هو عذر الفقراء الذين

لايملكون أقواتهم إلا بمنتهى الجهد والعناء من أمثالنا ! ! وما هي التي يشغلهم عن النظر في أمر الآخرة ؟ إنهم بلا شك قد حرموا نعيم الدنيا وبلاهيتها إذ نراهم في نصب وكدح دائبين : فتعب في كسب الرزق والعمل في الأرض . وتعب من فساد الأخلاق وضعف الوازع الديني .

فهذا مضمر الحقد لأخيه . وهذا حاسد لذويه وغير ذويه . وثالث يتربص الدوائر بالناس ويود لو تنزل بهم المصائب . ورابع يفرح لحزن الآخرين . وخامس منغص من عقوق أولاده وفساد أخلاقهم . وسادس مني بزوجة سليطة تذيقه كل يوم ألماً جديداً وهماً مبرحاً . وهكذا لاينتهي نصبه ولا تعبه .

وكل ذلك ليس له سبب ولا مصدر إلا أن الجميع قد نسوا الله وأصبحوا عبيداً للدنيا . فكان حقاً على الله أن يشقيهم بها . وأن يحرمهم الراحة فيها وكانت النتيجة أننا نرى الواحد يقضي حياته في التعب والنصب . والهم والأمل الكاذب . راجياً أن يكون في المستقبل سعيداً : فما يزال يدأب ويدأب حتى يمد الموت يده اليه فيختطفه قبل أن يتم أمله . فلا راحة في الدنيا اكتسب . ولا زاداً للآخرة ادخر . فيذهب الى الآخرة فيرى داره فيها خراباً يباباً . فلا دنيا جمع . ولا الآخرة أدرك . قد خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين .

قد يقول الرجل منا : كيف هذا وأنا أؤدي الصلاة . وأبذل الزكاة . وأصوم رمضان وأعمل كل مايقربني الى الله ؟

مهلا مهلا . لو أن هذه الأعمال كانت خالصة لوجه الله تعالى . وفيها روح التقوى والخوف من الله . لو كانت كذلك لمنعت من تلك الشرور التي تفاقم

خطبها ولكنها لم تخرج عن كونها أعمالا آلية صورية يأتي بها الرجل بحكم العادة ، بدليل أنها لم تصلح أمره ، ولم تحمله على التفكير في الآخرة . فلم تنهه عن المنكرات التي يأتيها . وقد قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقال رسول الله ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » .

وكيف يزعم هؤلاء أنهم قد وفوا ماعليهم ونحن نرى الحسد والحقد وحب الأذى للناس . والفرح لمصائب الناس ، والتقاطع والتدابر ، والكبر وحب النفس واحتقار الناس . يأتيها المصلون صلاة آلية ظانين أنهم قد استجابوا لدينهم ، وأطاعوا أمر ربهم ، فكيف تستقيم مع هذه المعاصي وتلك الرذائل الخلقية التي يبرأ منها الدين عبادة مقبولة ! ! ؟

فيا قوم : نحن فقراء فقراً مدقعاً ، ليس في أيدينا من الدنيا ما نعتذر به عن الاشتغال بالآخرة ، والذي بأيدينا من الدنيا شيء حقير بالنسبة لغيرنا . ولا نستطيع أن نأكل القوت الكفاف منه إلا بمشقة . فهل تريدون أن نحرم الآخرة أيضاً فنكون قد خسرنا دنيانا وأخرانا ؟ ! ! أليس الأجدر بنا أن نتدارك أمر الآخرة مادام قد فاتنا حظنا من الدنيا ؟ ! !

ألا وإني ضمين لكم إذا توجهتم لتحصيل الآخرة ، أن الدنيا ستأتي إليكم صاغرة ، وأنكم ستكونون على حال خير مما أنتم فيه ، وأن الله سيبارك لكم في أرزاقكم ، وأبنائكم ، وأعماركم ، ويملأ قلوبكم إيماناً واطمئناناً فتجمعون بين سعادتي الدنيا والآخرة : فهذا وعد الله ، ولن يخلف الله وعده « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً . ذلك أمر الله أنزله اليكم »

وقد أبان الله تعالى طريق الخلاص مما نحن فيه . فذكر بعد الآية التي أسلفناها قوله تعالى لنبيه الكريم : « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ؟ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد »

ألهمنا الله السداد . وأرانا طريق الرشاد . إنه رؤوف بالعباد .

(١٠) المطالب التي يرغب فيها الراغبون ويعمل من أجلها العاملون

مطالب الانسان في الدنيا والوسائل اللازمة لذلك وأهمها توفيق الله . الآخرة ووسائل الحصول عليها وأهمها صحة اليقين بعد توفيق الله . حالتنا بازاء هذه المطالب بقسميها . خطأ العامة في تأدية التكاليف الشرعية . الرغبة في الحصول على الدنيا أو الآخرة من غير الوسائل محال . من باع دنياه بآخرته ظفر . ومن باع آخرته بدنياه خسر . طلاب الآخرة في سعادة ولذة تحسدهم ملوك الأرض عليها . عبيد الدنيا أولياء الشيطان . وطلاب الآخرة عباد الرحمن .

قال الله تعالى : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب » .

. . . كل فرد منا معشر المسلمين يريد في الحياة أن يكون من توفرت لهم وسائل الغنى والثروة ، فهو يحب أن يكون موسعاً عليه في رزقه ، مباركاً له في ذريته . محفوظ الكرامة بين قومه . مسموع الكلمة في الناس . ويطمع

فوق هذا أن يكون من أهل السعادة فى الآخرة ، وأن ينال عند الله منازل التكريم ، والفوز العظيم .

وهذا لعمر الله آمال وأماني عظيمة ليس من ورائها زيادة لمستزيد ، ولا بعدها غاية لمريد : إلا أن هذه الآمال تحتاج الى جهاد طويل ، وعمل غير قليل : فالثروة والجاه في الدنيا لابد لهما من أن يواصل الانسان الليل بالنهار فى الجد والسعى ، وأن يختار الوسائل التى تضمن له المال اللازم لذلك ، كما تتوقف على توفيق الله ومعونته ، فان كان للمرء نصيب فيها ظفر بها ، وإلا فلا يغنى عنه سعيه وتعبه شيئاً . هذا مايختص بالمطلب الدنيوى .

وأما مايختص بالسعادة في الآخرة ، فذلك لايقل عن الأول عناء وتعباً ، فان الجنة قد حفت بالمكاره . فلا ينال الانسان سعادة الأخرى إلا اذا صدق إيمانه . وراقب ربه فى جميع أعماله ، واتقى عذابه ، ورجا ثوابه ، بقلب مخلص وعمل متواصل : بحيث يؤدي جميع مافرض عليه . ويطبق أعماله على سنن الشريعة الغراء ، وأن يكون حسن المعاملة مع الناس ، يحب لهم ما يحبه لنفسه ، ويكره لهم مايكره لها : وأن يتهيأ للموت ويستعد له ، حتى إذا نزل به وجده على تمام الأهبة ، فلا يأخذه بغتة فيبهره . فان الموت طالب حثيث لامفر منه ، وقد أخفى الله عنا الآجال والأرزاق ليكون الأمل ، سائقنا الى العمل حتى ينتظم الكون وتتم حكمته فى خلقه .

ونحن إذا حاسبنا أنفسنا وطبقنا أعمالنا على قانون طلاب الدنيا والآخرة لانجد إلا الخيبة والخسران ، والمذمة والهوان : فاننا لانطلب الدنيا للغايات السامية التى تطلب من أجلها : لأن أجل الغايات التى من أجلها يرغب فى الدنيا

الراغبون . ويعشقها من أجل ذلك المتهالكون ، أن يقوموا بأعمال عامة تخلد ذكرهم ، وترفع بين الناس قدرهم ، ونحن لم نظفر من الدنيا بطائل ، وليس لنا في الأعمال النافعة أثر ظاهر .

وأما عملنا للاخرة فهو قاصر على الصلاة المكتوبة ، وليتنا نؤديها بخشوع وسكينة . بل يقوم الواحد فينقرها كما ينقر الغراب . وهو مشغول القلب بالدنيا منصرف الفكر الى مشاغله فيها : ولم يدر أنه واقف بين يدى رب العزة الذى تهتز من هيبته السماوات والأرض عظمة وإكباراً .

ثم غفلنا عن بقية أحكام الدين ، وانتهكنا حرمته . فصرنا نتفكه بالغيبة والنميمة . ونجترىء على الأعراض ورمي المحصنات ، ونسعى في إيذاء بعضنا بعضاً ، ونضمر العداوة للمسلمين ونرائى بعبادتنا .

وعلى الجملة لبسنا الدين مقلوباً حتى ضجت الملائكة من مساوينا ، وضربت الأمثال بمخازينا . ومع كل هذه الخسائس نطمع أن نكون من أهل السعادة فى الآخرة . فهل رأيتم أعجب من ذلك ؟ ! !

إن الله تعالى لم ينزل الشرائع عبثاً ، ولم يرسل رسله لعباً ، وإنما جرت إرادته ونفذ أمره بذلك ، لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل : فمن طمع في الدنيا ولم يعمل الوسائل التى يعملها طلابها فهو من الجاهلين . ومن رغب فى الآخرة ولم يسلك سبيل الشريعة على وجهها فهو من المقصرين المحرومين .

وحرى بمن لم تواته الدنيا أن يستعيض عنها بالعمل للآخرة : فاذا تبصر بعد هذا كله . علم يقيناً أنه ظفر بما هو أثمن مما ترك .

وكيف يوازن العاقل بين دنيا لاقيمة لها إلا فى أعين الجهلاء ، بأخرى

هى دار الراحة والبقاء ؟ ! على أنه إذا اطمأن بذكر الله قلبه ، وشعر ببرد اليقين يملأ صدره لم يبق فى قلبه لحب الدنيا موضع . ولا يأسى على شىء فاته منها . بل ربما حمد الله وشكره على نعمة الفقر والصبر : فقد تطغى الدنيا حتى توصل من أطغته الى أن يصير من جند الشيطان . الذي كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه إلى عذاب السعير .

وقانا الله تعالى شر الدنيا وشر غرورها ، وجعلنا من الراغبين فى الآخرة ونعيمها الدائم ، إنه هو المستعان .

(١١) الاخلاص فى العبادة

بيان عظمة الله تعالى : فائدة التكاليف الشرعية عائدة على المكلفين فى مصالحهم الدنيوية والأخروية . العمل جسم والاخلاص روحه . المؤمن ونظره إلى الكون والمكون . خطر الرياء وسوء مغبته . ثناء الله على المخلصين . استشهادات بسيرة الصحابة والرسول تبين مكانة الاخلاص . وصايا للمؤمنين في هذا الباب .

قال الله تعالى معلماً لنبيه الكريم : « قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين . وأمرت لأن أكون أول المسلمين » .

. . . اعلموا أن الله تعالى أبدع هذا الكون وما فيه من الموجودات بكامل قدرته ، وعظيم حكمته . ليعلم خلقه عظمة الربوبية : فيعترفوا له بالوحدانية . وشرع لهم من التكاليف والعبادات ما يضمن سعادتهم فى الدارين من غير أن

يعود عليه نفع من ذلك : وجعل الاخلاص في العبادة روحا لايقبل عمل بدونه فمتى مازج العبادة رياء أو شابهـا غرض من الأغراض انقلبت على صاحبها وبالا واستوجب بسببها عذاباً ونكالا .

فالمؤمن حقاً من ينظر الى هذا العالم فلا يرى فيه بعين بصيرته إلا ربه المعبود ، وما سواه فهو معدوم مفقود . يكره مظاهر الصلاح أمام الناس خشية أن يتسرب النفاق الى قلبه فيكون من الهالكين : كم من تق ورع قضى الحياة فى الطاعات . حتى اذا ماعرف الناس منزلته وأثنوا عليه الثناء المستطاب ، داخله العجب والرياء فأفسد عليه طاعته وتقواه . وأبعده الشيطان بذلك عن رحمة الله . ذلك لأن الرياء فى العبادة هو الشرك بعينه . إذ هو توجه بالعبادة لشيئين . أولهما : الغرض الخفى الذي يضمره في نفسه من مباهاته الناس بالعبادة وحملهم على اعتقاد الخير فيه ، وتعظيم مكانته عندهم ، لينال بذلك شيئاً من متاع الدنيا .

وثانيهما : أداء ماأوجبه الله عليه وإن كان هذا فى نفسه شيئاً هيناً بجانب غرضه الأول . وكفى بذلك نفاقاً : ومن كانت حاله كذلك كان في الآخرة من الأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

ومن هذا نعلم السر في أن الله تعالى حض على الاخلاص فى العبادة . وكرر ذلك في عدة مواطن من كلامه الكريم : قال الله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وذلك دين القيمة » كما قال تعالى في آية أخرى « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد . وادعوه مخلصين له الدين » .

وقال جل من قائل : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً . إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم » .

فاخلاص النية إلى الله في القربات اليه شرط لازم لاتقبل عبادة مهما اجتهد صاحبها إلا به . وسلم لايصعد عمل صالح الى الله تعالى إلا عليه : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .

والدليل على أن العبد إنما يجازى بما عقد عليه نيته أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك يكون فى سبيل الله : فقال ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله »

فاحذروا أن تصرفوا النية فى العبادة وما تأتونه من صالح الأعمال عن الاخلاص لله تعالى : وتأكدوا أن كل عمل خلا عن الاخلاص فهو ذنوب وآثام لايزداد بها العبد من الله إلا بعداً . وعن رحمته الا طرداً :

جعلنا الله من عباده المخلصين الذين لايبتغون الا رضاه . ولا يقيمون وزناً لما عداه : إنه مصرف القلوب بمشيئته ، يخص من يشاء بتوفيقه ورحمته وهو أرحم الراحمين .

(١٣) الرياء

الغنى المطلق ليس إلا لله . الكون مرآة نتراءى فيه مظاهر صفات الله . مصلحة المكلفين فيما كلفوا به تعود عليهم . إحباط الرياء للعمل وقبوله بالإخلاص فيه . تفنن المرائين بالحيل الشيطانية لتنطبق حوادثهم المنكرة على صور الشريعة الاسلامية . خوف السلف الصالح من الرياء . استشهاد من كلام الله وتمثيل يبين خطر الرياء . ليس للمرائى من عمله إلا التعب والخسران .

قال الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً . ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » .

. . . اعلموا أن الله جل شأنه خلق العالم لغير علة ولا حاجة إليه : وإنما أراد بذلك إظهار عظمته ونعمه على مخلوقاته ، فلا تنفعه الطاعات ، ولا تضره المنكرات والسيئات : فلو أن أهل الأرض جميعاً كفروا بوحدانيته ما نقص ذلك في ملكه شيئاً ، كما أنهم لو انقطعوا لعبادته وبذلوا المهيج فى طاعته ، لما زاد ذلك في ملكه شيئاً : سبحانه هو الغنى وأنتم الفقراء .

ومن أجل ذلك كلف العباد بطاعته مصلحة لهم فى دنياهم وأخراهم . ورتب على الصالحات رحمته ، وعلى السيئات نقمته ، ليرى العالم مظاهر نعمه ورحموته ، ومقدار قهره وجبروته : قال تعالى « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

ولا يرفع عمل العبد الى حضرته القدسية ، إلا إذا كان خالصاً لذاته العلية

فاذا خالطه شيء من الرياء أو الخديعة رد على صاحبه ، وكان وبالا على كاسبه ، فمن صلى أو صام أو زكى أو حج أو اعتمر أو أطعم جائعاً أو فقيراً وأراد بذلك أن يقال : إن فلاناً تقى فهو مشرك بالله . يطلب ثوابه يوم القيامة ممن خدعه وراءاه .

عن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة . ليوم لا ريب فيه . نادى مناد . من أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل « أنا أغنى الشركاء عن الشرك . فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك » .

ومن أنكر ضروب الرياء أن نحتال بالأخاديع الشيطانية لتنطبق الحوادث المنكرة على صور الشريعة الاسلامية : وأمثال هؤلاء المرائين والمنافقين يظنون أنهم يخادعون الله . وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون : لايكون المرء مؤمناً إلا إذا أخلى قلبه من كل ما في الكائنات . وتوجه بالعبادة وعمل الاحسان الى عالم الخفيات . معتقداً أن ماسواه عدم .

ما أشقى عبداً يجهد نفسه في الطاعة طول حياته . ويخطر بقلبه أنه نال بذلك سمعة طيبة بين الناس بما أتاه من العمل الصالح : وعبادة كهذه مشوبة بالرياء . تؤدي بصاحبها الى منتهى التعاسة والشقاء .

كان السلف الصالح لخوفهم من الرياء يسترون مايفعلون من الخير كأنهم

يأتون منكراً ، وأما نحن فنباهي بأقل عمل ، ونلبسه من الرياء مظهراً : والله تعالى يقول : يأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر : فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لايقدرون على شيء مما كسبوا . والله لايهدي القوم الكافرين .

فالقرآن الكريم بأفصح بيان يقول : إن المرائي ليس له من عمله إلا التعب والخيبة والخسران : وحسبكم أن الله تعالى يقول « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً . ولا يشرك بعبادة ربه أحداً »

وليس للشرك في حق المسلم معنى إلا الرياء . فمن راءى فقد أشرك . ومن أشرك حرم الجنة . « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار . وما للظالمين من أنصار » .

وسيان إشراك العبد بوحدانيته . و إشراكه في عبادته . فانه في الحالين جعل له نظيراً . تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

أبعدنا الله تعالى عن الرياء . وجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم .

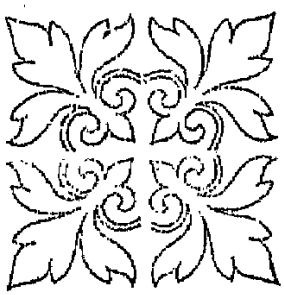

(١٣) الأمانة وأثرها فى الدين والدنيا

وصف الأمانة . تعريف الأمانة . الفوائد المترتبة على الأمانة . ضرورة الأمانة للمجتمع الانسانى . أنواع الأمانة . واجب كل فرد أن يكون أميناً . أمانة الحاكم وأثرها . أمانة الزارع . نكبة الزارع فى محصولاته وتفشى الآفات والعاهات وضن الأرض بخيراتها أثر من آثار فقدان الأمانة . أمانة التاجر . بعض التجار أشبه باللصوص في تطفيف المكيال والميزان . دليل ذلك من الكتاب . الأمانة تجرى في كل شأن من شؤون الحياة . إفشاء السر خيانة . التطلع بريبة خيانة . المستشار مؤتمن . إيقاد نار الفتنة بين الناس خيانة . اختلاق الأخبار الكاذبة خيانة . إعانة الظالم والدفاع عن المجرم كلاهما خيانة . الحث على التحمل بالأمانة وبيان أنها روح الشريعة وقوام المعاملة . جزاء الأمين فى الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »

. . . الأمانة خلق من الأخلاق الفاضلة ، وصفة من الصفات الجميلة . وأصل من أصول الديانات : ولذلك أكدت جميع الشرائع وجوب رعايتها . والحث على الاتصاف بها .

وهى رعاية حقوق الله وحقوق العباد . ويترتب عليها حفظ الأرواح ، وصيانة الأعراض والأموال . وسعادة البلدان . وحفظ الأوطان : وهى ضرورية للمجتمع الانسانى ، لافرق بين حاكم وموظف وعالم وصانع ، وتاجر وعامل وزارع . فمن اتصف بها فقد استوجب الرضا من الله عز وجل ، والثقة من الناس

وكان من جماعة المسلمين المؤمنين بالله ورسوله ، الذين كتب الله لهم الفلاح ، والفوز والنجاح ، وامتدحهم بقوله : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)

وأنواع الأمانة كثيرة . منها الأمانة الآلهية ، والأمانة الخاصة بالانسان نفسه ، والأمانة العامة .

فالأمانة الالهية هي شريعته السمحة المطهرة التى أرسل بها رسوله الكريم ﷺ ، وحفظها ورعايتها يكونان بالعمل بما جاء فيها من العقائد الصحيحة ، وفعل المأمورات ، وترك المنهيات .

والأمانة الخاصة بالانسان نفسه — هى حياته وعرضه وماله ونسبه وعقله وصحته : وحفظها يكون بالحرص عليها ، ووقايتها من كل مايضرها أو يشينها أو يضيعها .

والأمانة العامة : هى الحقوق التى يضعها أصحابها عند غيرهم ليحفظوها لهم ويرعوها ثم يؤدوها اليهم إذا طلبوا ردها : وحفظها ورعايتها يكونان بما قدمناه فى الأمانة الخاصة .

فيجب على كل فرد في عمله المتصل بنفسه أو بالناس أن يكون أميناً : فإذا أدى الحاكم مهمته بالأمانة ساد العدل . وسعدت الرعية : وإذا أدى الزارع واجبه فى زراعته بأمانة فلم يقصر في واجبه ولم يظلم جيرانه ، ولم يعتد على شركائه فى السقى والجوار كان أميناً . وكان جديراً بأن يبارك له في رزقه وزراعته ومحاصيل أرضه : وما تفشت الآفات والعاهات ، ولا نقصت المحاصيل ، ولا ضنت الأرض بخيراتها ، ولا ساءت حالة مياه الري إلا بعدم مراعاة الأمانة من الزارعين وطمع كل واحد منهم أن يستأثر بالخير دون غيره ولو

راعوا كلهم الأمانة لأخصبت الأرض وكثر خيرها وطابت النفوس وامتنعت المشاكل والمشاحنات والمشاجرات التى نشاهدها أيام الستى والزرع .

كذلك لو راعى التجار الأمانة فلم يغشوا فى بضائعهم . ولم يطمعوا في ربحهم . ولم يطففوا في كيلهم وموازينهم . بل قنعوا بالربح المعقول . وبينوا للمشترين الطيب من الخبيث — لو فعل هؤلاء ذلك لكانوا أمناء حقاً . وكانوا جديرين بأن يربحوا ربحاً مباركاً فيه . وإذاً لرأيت الناس فى هناءة ورغدعيش واطمئنان قلب : ولكنك الآن ترى بعض التجار أشبه باللصوص غشاً وخداعاً والله تعالى يقول : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ؟ ! ! يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

فالأمانة تجري فى كل شئون الحياة : فمن أسر إليك سراً فقد أودع عندك أمانة فاذا أفشيت ذلك السر فأنت خائن برئت منك الأمانة : ومن زار أخا ونظر إلى زوجه أو ابنته نظرة مريبة فهو خائن برئت منه الأمانة : وكذلك النظر بريبة الى ماحرم الله تعالى النظر اليه . ومن استشار غيره في أمر ينوى أن يفعله ولم يشر عليه بما يعتقد من صميم قلبه أنه هو الصواب — بل أشار عليه بغير مايظنه صواباً فهو خائن برئت منه الأمانة : ومن رأى مختصمين وأوقد النار في خصامهما بقول أو فعل فهو خائن لدينه وقد برئت منه الأمانة ومن زيف خبراً على الناس وكان من شأن هذا الخبر أن يزعجهم أو يغرر بهم فيبيعوا محصولاتهم بأقل من ثمنها ، أو كان من شأنه أن يمنعهم من البيع في

حين أن المصلحة لهم هى البيع ، من فعل ذلك ليجر لنفسه أو لغيره مصلحة فهو خائن برئت منه الأمانة . ومن أعان ظالماً على ظلمه — أو دافع عن مجرم أثيم لأي سبب من الأسباب فهو خائن لدينه وللمسلمين ، وقد برئت منه الأمانة : وهكذا . . .

فتجملوا بالأمانة واعلموا أنهـــا هى روح الشريعة ونظام المعاملة — وعليها تدور رحى الاجتماع . فلا دين إلا بها . ولا نظام فى الدنيا إلا بتحققها وأن الأمين هو المثل الأعلى فى دينه ودنيـــاه . وهو الذى سيحظى بالسعادة الأبدية بفضل أمانته في أولاه وأخراه « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

(١٤) الخيانة وآثارها السيئة

بيان ماتضمنته الآية الكريمة من أنواع الخيانة . خيانة الله وبماذا تكون . خيانة الرسول وبماذا تكون . خيانة الناس أمانة بعضهم بعضاً . سبب نزول الآية الكريمة . ذم الخيانة شرعاً وعقلا . الحث على اجتناب الخيانة والبعد عنها .

قال الله تعالى : «يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

. . . تتضمن هذه الآية الكريمة النهى عن ثلاثة أنواع من الخيانة :

النوع الأول : خيانة الله تعالى ، وتكون بترك أوامره وفعل نواهيه :

فمن ترك الفرائض كالصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصوم ، وارتكب المحرمات كالسرقة والقتل والغيبة والنميمة وما الى ذلك فهو خائن لله تعالى .

النوع الثانى : خيانة الرسول ﷺ . وتكون بترك العمل بسنته وشريعته : فمن لم يعمل بما ثبت عن الرسول صلوات الله عليه كان خائناً له .

النوع الثالث : خيانة الناس أمانة بعضهم بعضاً . فمن أودع عند آخر وديعة لثقته به ولم يسلمها اليه كما أعطاها إياه فهو خائن : ومن كلفته بتبليغ رسالة الى صديق لك فزاد عليها ، أو غير فيها أو حرف أو بدل لغرض سيء فهو خائن ، ومن تعهد لك بعمل من الأعمال على نظام خاص ولم يعمله على ذلك النظام المتفق عليه فهو خائن : « كما يفعل كثير من العمال الآن » .

وإفشاء السر خيانة . والنظر بريبة الى ماحرمه الله تعالى خيانة . والتطفيف في الكيل والوزن خيانة ، وأكل أموال الناس بالباطل خيانة ، وإيقاد نار الفتن بين الناس خيانة . وإعانة الظالم والدفاع عن المجرم كلاهما خيانة ، واختلاق الأخبار الكاذبة خيانة ، والسرقة بجميع أنواعها خيانة ، والظلم خيانة ، وأكل مال الأجير خيانة ، وخيانة الشريك لشريكه والوكيل لموكله خيانة .

وإليك السبب فى نزول الآية المتقدمة :

روى أن النبى ﷺ حاصر بنى قريظة (قوم من اليهود كانت مساكنهم قريبة من المدينة) إحدى وعشرين ليلة . فسألوه الصلح على أن يسيروا إلى إخوانهم بأرض الشام . فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ . فقالوا : أرسل إلينا أبا لبابة (صحابى جليل) وكان مناصحاً لهم — لأن ماله وولده كانوا عندهم فبعثه اليهم . فقالوا : ماترى ؟ هل ننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار

إلى حلقه أنه الذبح (أى فلا تفعلوا) . قال أبو لبابة : فمازالت قدماى (أى من مكانهما) حتى علمت أنى خنت الله ورسوله . فنزلت فشددت نفسى على سارية (عمود) فى المسجد وقلت : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله على : فمكثت سبعة أيام — ثم خررت مغشياً على ، ثم قيل لى : قد تيب عليك فحل نفسك . قلت : لا . والله لاأحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلنى . فجاء فحلنى بيده . فقلت : إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومي الذى أصبت فيها الذنب . وأن أنخلع من مالى . فقال عليه الصلاة والسلام : يجزيك الثلث أن تتصدق به .

فالخيانة مذمومة شرعاً وعقلا . لأنها تدل على دناءة النفس وخسة الهمة وصاحبها مكروه بغيض . ينفر منه إخوانه وأحبابه ، وأقاربه وأصحابه : إذا سألهم لايعطونه ، وإذا احتاج اليهم لايساعدونه : إن عاش كان حقيراً وإن مات مات ذليلا : لايسمع له قول . ولا يشترك معه أحد ، ولا يتخذه نصيراً ، ولا يرضاه معيناً أو مديراً . لأن خيانته هدمت مجد نفسه . وجلبت له الشقاء وكراهة الناس : وما للخائنين من أنصار .

وإذا فشت الخيانة في أمة من الأمم ذهبت ريحها . وتقوض مجدها ، وانحطت درجتها ، وهوت الى الحضيض الأسفل ، وأصبحت لقمة سائغة لغيرها ، يذلها ويستعبدها .

وفى التاريخ أدلة ساطعة على ذلك . فكم من أمة ذلت وغلبت على أمرها بخيانة بعض أبنائها :

وعلى العموم فالخائن غير شريف . وهو شر على نفسه ، وشر على أهله

وعشيرته ، وشر على المجتمع الذى يعيش فيه : ومتى كان ذلك كذلك . وقد عرفتم آثار الخيانة وأنواعها ونتائجها ، فعليكم باجتنابها والبعد عنها . وكونوا من ذوى الأمانة ، المبرئين من الخيانة . وقفوا عند حدود الله تعالي ، لتستحقوا منازل الأبرار الأطهار ، وتحظوا بجنات تجري من تحتها الأنهار .

جعلنى الله وإياكم ممن يعملون بما يعلمون .

(١٥) الصدق وجليل أثره

منزلة الصادق بين الناس . بيان أن الصدق يقود الى البر كما في الحديث الشريف . بيان أن الصدق في الآية الكريمة أوسع معنى من الصدق القولى فقط . بيان منزلة الصادقين وأنها تالية لمنازل النبيين . دليل ذلك . أدلة قرآنية على سمو الصدق وشمول معناه لكل خير . الانسلاخ عن الصدق يؤدى الى الخروج من حظيرة الايمان ودليل ذلك من الكتاب . الانسلاخ عن الصدق من أشنع أنواع الظلم ودليل ذلك من الكتاب . الصدق مع الناس وما ينتجه من الثقة بصاحبه والركون اليه . طريق النجاح لا يتطلب من المرء إلا الاعتزاز بالشرف والرغبة فى الصدق والحرص عليه .

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » :

. . . خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وفضله على سائر المخلوقات . وميزه بالعقل الذي يعرف به الضار من النافع . وأوجب عليه أن يكون صادقا في أقواله حميداً فى أفعاله . لينتظم مع الناس أمره . ويتم مع الخلق تعاونه . ورتب على الصدق ثوابه الجزيل ، وعلى الكذب عذابه الوبيل : وجعل للصادق منزلة ومكانة ، وللكاذب مذلة ومهانة : لأن الصدق يعلى صاحبه على الناس جميعاً .

فيجعله موضع ثقتهم ، مرغوب الحديث عندهم ، محبوباً إليهم محترم الكلمة عند حكامهم . مقبول الشهادة عند قضاتهم ، لهذا أمرنا به الرسول الكريم ﷺ كما أمرنا القرآن .

قال الله تعالى « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . وقال رسول الله ﷺ فى حديث رواه البخارى ومسلم . « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر . وإن البر يهدى إلى الجنة . وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » .

فالصدق يقود صاحبه الى البر الذي منه الاتصاف بصفات الكمال . والتوسع فى فعل الخير . وامتثال أوامر الدين . واجتناب نواهيه . ومتى بلغ المرء هذه المنزلة فقد رضى الله عنه وجعله أهلا لدار كرامته مصداقاً لقوله تعالى « إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » .

وليس الصدق في الآية الكريمة المتقدمة هو الاخبار عن الشيء على ماهو عليه — بل هو أوسع من ذلك وأشمل . وهو الوفاء لله بما كلف به العبد من المأمورات ، والاتصاف بكل صفات الخير التى تقوم عليها الأخلاق والمعاملات

قال الله تعالى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه . ومنهم من ينتظر . وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيما »

فالصادق فى دين الله هو من أقام الصلاة ، وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله

حدث لم يكذب . وإذا اؤتمن لم يخن ، وإذا حكم لم يظلم ، وإذا قدر عفا . إلا إذا أضاع العفو حقاً من حقوق الله : والصادق فى دين الله هو الذى يقنع بما قسمه له الله ، ولا يطمع في مال غيره ، عالماً أن من وراء الدنيا حياة أخروية يحاسب فيها المرء على ماجنت يداه . فمن صدق مع الله ـ ولا يكون صادقا إلا بما كلفه به الشرع ـ كان من المؤمنين فى المنزلة العليا .

وقد عد الله تعالى الصادقين من الطبقات الممتازة يوم القيامة ، حيث جعل الطائعين معهم ، إذ يقول : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله . وكفى بالله عليما » .

بل إنك لتراه جل وعلا في هذه الآية الكريمة جعل درجة الصديقين تالية لدرجة النبيين تعظيما لصدقهم ، وإعلاماً لشرفهم : وان الله تعالى إذا أثنى على شيء وصفه بالصدق . فقد قال : « إن المتقين في جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

وفى ثنائه على اسماعيل عليه السلام قال : « واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً » .

وفي ثنائه على إدريس عليه السلام قال : « واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ، ورفعناه مكاناً علياً » .

وقال فى مريم ابنة عمران : « وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين »

ولما أثنى الله تعالى على الصدق والصادقين ، جعل الكذب من الصفات

التي لاتجتمع مع الايمان فقال : «إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون» كما جعله من أشنع أنواع الظلم : فقال : «ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام . والله لايهدي القوم الظالمين» .

وكما يجب الصدق مع الله بالوفاء بما التزمناه ، يجب الصدق مع الناس في المعاملة والمحادثة ، والقول والفعل . والأخذ والاعطاء ، بحيث يكون المؤمن صورة للصدق . موثوقا به إن قال أو فعل . فان راوغ وكذب فقد التحق بالمنافقين .

فاذا كنت تود أن تكون ناجحاً في عملك . متقدماً في حياتك ، نافعاً لنفسك ولمن حولك ولأمتك . فطريق النجاة والفلاح والنجاح أمامك مفتوح على مصراعيه ، لايتطلب منك الا اعتزازاً بالشرف ورغبة في الصدق وحرصاً عليه .

فالزم الصدق في جميع أقوالك وأفعالك وفي كل أحوالك ، واعلم أن ذلك يحتاج منك الى شجاعة وصبر على المكاره ورياضة نفس : فقد يعرض لك من المواقف ماتظن الصدق فيه ضاراً والكذب نافعاً . والأمر في الواقع على خلاف ما ظننت : فان الصدق « وإن اقتضى ألماً في بعض الأوقات » محمود العاقبة . جليل الأثر على كل حال : والمتطلع الى المعالي الراغب في رضوان الله لايضيره أن يصاب بألم في سبيل الصدق مادام ذلك سبيل الكمال ، وطريق الحظوة بالثواب الجزيل : فقد قيل : إصبر على الحق وإن غلبت عليه : وتسكب الباطل وإن غلبت به . فلأن تموت بحق خير من أن تعيش بباطل .

جعلنا الله من الأوفياء الصادقين مع الله ومع عباده ومع أنفسنا حتى ننال ماأعد لهم من عز وكرامة يوم لاتغني نفس عن نفس شيئاً والأمر يومئذ لله .

(١٦) الكذب وأخطاره

الكذب أصل كل شر ومفتاح كل إثم . تعريف الكذب . استشهادات دينية ومأثورة تبين قبح الكذب وذمه . شيوع الكذب فى الأمة يقوض بنيانها ويهدد أركانها ويعرضها للفناء والدمار : شيوع الكذب فى الأسرة . يوجب انحلالها وتفرق أجزائها . الكذب عام في الأقوال والأفعال وخصوصاً في معاملة الناس . الأسباب التى تدعو الى الكذب كثيرة وكلها محرمة شرعا . الكذب له أشكال مختلفة وصور شتى . التحذير من الكذب ، والحث على قول الصدق .

قال الله تعالى « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » .

. . . الكذب أساس التضليل : ومنبع الزور والبهتان . وسلم النصب والاحتيال ، وأصل كل شر . ومفتاح كل إثم ، لسوء عواقبه . وخبث نتائجه وقلبه للحقائق .

وهو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه : وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يدل على قبحه وذم فاعله . قال الله تعالى : ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم » .

وقال رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم : « إياكم والكذب . فان الكذب يهدي الى الفجور . وان الفجور يهدى الى النار .

وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً .

وقال لقمان لابنه : إياك والكذب فانه يفسد عليك دينك ، ويضع منزلتك ويضيع جاهك ، ولا يسمع أحد منك إذا حدثت ، ولا يصدقك إذا قلت ، ولا خير لك في الحياة إذا كنت كذلك ، وأكبر من هذا مقت الله وعقوبته فى الآخرة .

وقال حاتم بن علوان الأصم : من ادعى أربعة بغير أربعة فهو كذاب : من ادعى أنه يحب الله تعالى ولم يتورع عن محارمه فهو كذاب . ومن ادعى حبه لرسوله ﷺ ولم يعمل بسنته فهو كذاب . ومن ادعى رغبته في الجنة ولم يعمل ما يوصل اليها فهو كذاب . ومن ادعى أنه يخاف النار ولم يبتعد عما يقرب اليها فهو كذاب .

وإنما كان الكذب أساس كل رذيلة وأصل كل بلاء وفساد لأنه يهدى الى الفجور . ويسوق الى التمرد على القوانين وهتك المحرمات . فيختل سير الأمور . ويتصدع بناء المجتمع .

ولو شاع الكذب في أمة فكذب الطبيب مثلا فى تشخيص المرض . أو فى وصف الدواء . وكذب المهندس فى عمل ما وكل اليه من المرافق . وكذب المعلم في ما أزجى الى طلبته من المعارف وكذب المحامي فى دفاعه عمن وكله . وكذب التاجر والصانع والزارع والعالم والحاكم والعامل والموظف وكذب غيرهؤلاء من أفراد الأمة لتقوض بنيانها . وانهدت أركانها . وحل بها الدمار والفناء : وبمقدار مايكون فيها من الصدق يكون استعدادها للبقاء والكمال والرقى .

ولو شاع الكذب فى أصغر الجماعات الانسانية وهى الأسرة . فكذب

كل من الزوجين صاحبه ، وكذبا أولادهما ، وكذب الأولاد بعضهم بعضاً ، وكذبوا أبويهم ، وكذب الخدم ، لو كذب هؤلاء لما أمكن لواحد منهم أن يقوم بما يجب عليه للآخرين ، فتنحل الأسرة ، وتتفرق أجزاؤها .

وليس الكذب هو الذي يستوجب غضب الله ورسوله والمقت والعقوبة في الدار الآخرة ، ليس هو ذلك فحسب ، بل إن من بغى على أخيه في معاملة وظلمه في قليل أو كثير ظلماً وعدواناً فقد باء بغضب الله ورسوله ، ومن استأجر أجيراً وطمع في شيء من أجره ، أو ماطله فيه بدون عذر ، فقد استوجب غضب الله ورسوله : ومن شغل عاملا زمناً أكثر مما جرت به العادة بغير رضاه مستكثراً عليه أجره فقد استوجب غضب الله ورسوله : ومن طعن على أخيه في دينه أو عرضه أو شرفه في غيبته أو حضوره ليحط من كرامته بين الناس فقد استوجب غضب الله ورسوله ، ومن شارك أحداً في تجارة أو زراعة أو ماشية ولم يتحر العدل والانصاف في هذه الشركة ، وناله من المنفعة أكثر مما نال شريكه طمعاً وظلماً فقد استوجب غضب الله ورسوله : ومن ائتمنه أخوه على سر من أسراره فأفشاه وأذاعه فقد أثم واستوجب غضب الله ورسوله : ومن أعان أحداً من الناس على آخر لمجرد قرابة أو نسب ظالماً فقد استهان بالدين واستوجب غضب الله ورسوله : ومن استشار أحداً وأشار عليه بما يعتقد أنه مضر بمصلحة المستشير فقد استوجب غضب الله ورسوله ، ومن روج إشاعة كاذبة لغرض من أغراضه النفسية طمعاً في الحصول على منفعة كأن يشير برفع ثمن تجارة أو محصول من المحاصيل الزراعية ليحمل الناس على البيع أو الامتناع من البيع فقد استوجب غضب الله ورسوله : ومن أخبر

أحداً بأن آخر تكلم في حقه صادقاً أو كاذباً وهو يعرف أنه سيترتب على هذا الاخبار عداء واختلاف بين الناس فقد استوجب غضب الله ورسوله ، ومن وعد أحداً وعداً «ولا يكون الوعد إلا بالخير» وجب عليه أن يفي بوعده وإلا كان كاذباً يستوجب غضب الله ورسوله مالم يكن في عدم الوفاء معذوراً .

فالأسباب التي تدعوا الى الكذب كثيرة جداً ، وكلها محرمة شرعاً .

والكذب له أشكال مختلفة ويتمثل في صور متنوعة : فالمنافق كاذب . لأن ظاهره يخالف باطنه . والمتكبر كاذب ، لأنه يرى أن منزلته أعلى من منزلة غيره ، والنمام كاذب ، لأنه يوغر الصدور ، ويحدث الشرور : والمتملق كاذب ، لأنه يمدحك بما ليس فيك لحاجة في نفسه ، والفاسق كاذب ، لأنه كذب في دعوى الايمان ونقض ماعاهد الله عليه .

ومن الكذب المبالغة في القول مبالغة تجعل السامع يفهم أكثر من الحقيقة كما إذا بالغ إنسان في وصف شيء بالعظم حتى أفهم السامع أكثر من حقيقته ليخدعه ويغشه : ومنه أن يحذف المتكلم بعض الحقيقة ويذكر بعضها ، اذا كان ذكر ماحذف يجعل لما ذكره لوناً خاصاً ومعنى آخر : ومن الكذب مايجر اليه الملق ، من مدح الناس بما ليس فيهم طمعاً في الانتفاع منهم : ومنه مايؤدي اليه حب الظهور من ادعاء الانسان لنفسه ماليس فيه من صفات الكمال .

ومن مظاهر الكذب شهادة الزور أمام الحكام . وهو كذب شنيع يفضي الى تضليل الحكام ، والحكم على البريء ، وإفلات المجرم من القصاص ، وضياع الحقوق ، وتشجيع الظالمين وكثرة المجرمين .

ومن أشنع الكذب ، الكذب على الله في مناجاته . يقف الرجل بين

يدى ربه ويقول : إياك نعبد ، وإياك نستعين ، وهو كاذب في قوله . لأنه يلجأ في كل يوم وعند كل نازلة الى الناس ليستعين بهم على كشف الضر عنه ، ولأنه يعبد هواه قبل عبادته مولاه .

والرجل الذي يعنى الطفل ويحتال عليه كذاب ، وكذلك الذى يخوف الطفل بالوهم الكاذب .

عن عبد الله بن عامر أنه قال : دعتنى أمى يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها ، تعال أعطك ، فقال لها رسول الله ﷺ وما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أعطيه تمراً . فقال لها رسول الله ﷺ : أما إنك لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة .

وكذلك يكذب من يتظاهر بأزيد مما أوتى ، ويستكثر بما ليس عنده . سواء أكان ذلك ليتجمل به أمام الناس ، أم ليغيظ به أعداءه ، أو يدفع شماتتهم : فكل هذا ضرب من الكذب والزور ، والغش المحظور .

عن أسماء بنت أبى بكر أن امرأة قالت : يارسول الله . إن لى جارة (تعنى ضرتها) هل على جناح إن تشبعت لها بما لم يعط زوجي ؟ (تعنى أنها تتظاهر بغير الواقع) . قال : المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور .

وأخدع كاذب من يمسك (مسبحته) بيده ويطيل لحيته ويمشى فى الطريق يحرك شفتيه ، ويمر على حبات المسبحة بأصبعيه ، ليخدع الناس ويوقع في وهمهم أنه صالح تقى ، يفعل ذلك لحاجة فى النفس يريدها ، وللحصول على فريسة يصيدها .

فحذار حذار من الكذب ، ولا تعود لسانك إلا على قول الحق والصدق

فمن عود لسانه على الكذب فقد حرم خيراً كثيراً . وله فى الآخرة عذاب أليم : ومن عود لسانه على الصدق فقد اكتسب رضا الله والناس . وذلك هو الفوز العظيم .

(١٧) السخرية من الناس والاستهزاء بهم

بناء الدين على أساسين . الأول ما بين العبد ومولاه . والثانى ما بينه وبين عباد الله . أثر هدم الناس للأساسين . وصف اجتماع الناس رجالا ونساء فى هذا الزمان . تساهل الناس في تنقيص بعضهم بعضاً حتى عمت بذلك البلوى . استنهاض وإيقاظ ودليل ذلك من الكتاب . توصل الأخلاق الفاضلة لسعادتى الدنيا والآخرة . الايمان الحقيقى لايجتمع مع رذائل الأخلاق . جهل الناس بالدين وعدهم الفظاظة شجاعة . الترفع عن سافل الأخلاق من صفات العظماء ، وأخلاق الأنبياء .

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم . ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن . ولا تلمزوا أنفسكم . ولا تنابزوا بالألقاب . بئس الاسم الفسوق بعد الايمان . ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » .

. . . الدين الاسلامى نور وهداية ، يقوم بنيانه على أساسين عظيمين :

الأساس الأول : إصلاح العبد ما بينه وبين الله . ولا يتم هذا الأساس إلا بالاخلاص فيما كلفه العبد من أوامر ونواه . فمن أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس .

والأساس الثاني : قائم على إصلاح العبد ما بينه وبين الناس ، ولا يتم هذا الأساس إلا بالأخلاق الكريمة المحمودة ، والفضائل النفسية التي يرتضيها العقل ويدعو اليها الدين .

ونحن إذا نظرنا الى أنفسنا وجدنا هذين الأساسين عندنا متهدمين . ونحن الذين هدمناهما بأيدينا ، فكان جزاؤنا ما نقاسيه اليوم من شقاء وآلام .

نعم تهدم الأساس الأول فأصبحت العبادات مشوبة بالرياء والخديعة ، خالية من الخشوع والاخلاص ، وهذا أمر مرده الى الله ، فهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

نعم وقد تهدم الأساس الثاني ، فحلت الرذائل محل الفضائل . كأن الدين قد لبس كالفرو مقلوباً : إذ من أشرف الفضائل صيانة الألسنة عن السخرية والاستهزاء بعباد الله .

ولكننا لا نرى اجتماعاً إلا وهو يقوم على اغتياب الغير والعيب على الناس كأننا في عصمة من تلك العيوب . وكان الأجدر بنا ألا نشغل أنفسنا بنقد الناس ولا عد عيوبهم ولا بالبحث عن خفايا هذه العيوب . فان ذلك مع مخالفته لروح الدين ممقوت في نظر المروءة والعقل .

والواجب على كل حريص على دينه وأخلاقه أن يشتغل باصلاح عيوب نفسه حتى يبلغ منازل الأبرار الأطهار .

إن الأخلاق الفاضلة سبل من سبل الدين ، كما أن نقيضها سبل من سبل الضلال ، وأهمها كف الأذى ، والقيام على تهذيب النفوس وتطهيرها من شتى النقائص .

ولقد فشت خلال فى المسلمين ينفر منها الدين وتتبرأ منها الفضيلة : والناس يتساهلون في أمرها ويحسبونها أنها هينة مع أنها محبطة للعمل . ولا سيما العيب على الناس والسخرية بهم ، فانها بخاصة آثام لا يغفرها الله لمرتكبها إلا إذا تحلل ممن عابه أو سخر منه .

لا يكاد يجتمع رجلان أو ثلاثة ، أو امرأتان أو ثلاث فى مجلس أو موقف ، إلا ويدور حديثهما أو حديثهم حول العيب والنقيصة فى أحد إخوانهم أو إحدى إخواتهن . كأن مجال الحديث قد سدت سبله إلا عن هذا الباب الموصل لأبواب الجحيم ، والعذاب الأليم : ودرج الناس على ذلك واستهانوا به حتى أصبحت سيرهم مضغة في أفواه بعضهم .

فمتى يفيق هؤلاء المسلمون ؟ ! ! ومتى يستبدلون بهذه الأخلاق كمالات وفضائل ؟ ! ! لماذا لا يتواصون بالخير وفعل الاحسان ؟ ولماذا لا يتواصون بمعونة بعضهم بعضاً ؟ والله تعالى يقسم أن النوع الانسانى كله فى خسران إلا المؤمنين الذين يتواصون بالحق ، ويتواصون بالصبر . قال تعالى : « والعصر إن الانسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق . وتواصوا بالصبر » .

الأخلاق الفاضلة قبس من نور الله وهدايته ، فمن تخلق بها أوصلته الى السعادة في الدنيا والآخرة : أما في الدنيا فان الناس مطبوعون على محبة صاحب الخلق الحسن ، وأما في الآخرة فالنجاة من النار .

لا يكفى المسلم أن يؤدي الصلاة والصوم وغيرهما ويكون شريراً فاسد الأخلاق عياباً للناس ، محباً للوقيعة فيهم أو بينهم . فان للمؤمن علامات : منها

أن يكون رضي الأخلاق ، هيناً ليناً مشغولا باصلاح نفسه عن تتبع عورات الناس ، الى غير ذلك مما أوصى به الدين وحض عليه .

وما ساد المسلمون أهل الأرض في فجر الاسلام الا بقوة إيمانهم ، وحسن أخلاقهم ، وها هو ذا رب العزة يقول لنبيه الكريم : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » . فعرفه أن الفظاظة وخشونة الأخلاق منفرة للطباع ، ومبعدة صاحبها عن قلوب الناس ومحبتهم .

أما نحن فنباهى بالغلظة والفظاظة . ونعدهما شجاعة ورجولة . وهما من أخس الصفات وأبعدها عن الخير .

أما اللين فى غير ذلة . أما التواضع المحمود . أما العفو عند القدرة . أما الترفع عن سافل الأخلاق فهو من صفات العظماء وأخلاق الأنبياء ، ونحن مع الأسف الشديد عنه بعداء .

نسأله تعالى أن يجعلنا متأدبين بأدب الشريعة الغراء ، مبعدين عن أخلاق السفهاء وأن يعيننا على مرضاته . فهو واسع العطاء ، سميع الدعاء .

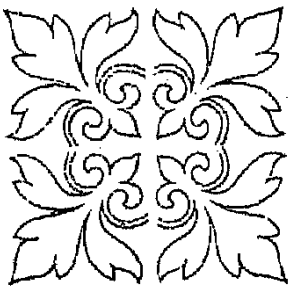

(١٨) المعاول التى تهدم صرح الوحدة الدينيـــة

عناية الاسلام بالحياة الاجتماعية . التعاون والتآلف والمحبة أسس قام عليها الاسلام . تقويض هذه الدعائم بالغيبة والنميمة والسخرية وما إليها . تعريف السخرية بالناس وتشبيه فاعلها ودليلها . تعريف الغيبة وسبب تسميتها بذلك وهم تكون . النميمة شر أنواع الايذاء . آثار السعاية والنميمة بين الأسر والأحزاب والممالك . المغتاب آكل لحـــوم إخوانه الموتى : ودليل ذلك من الكتاب والسنة . المسلمون وحدة قائمة على تبادل المحبة لايعز سلطانهم إلا بها . السخرية والغيبة والنميمة وما شاكلها أهم عوامل الانحطاط .

قال الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » .

. . . الاسلام وهو دين الفطرة معنى بالحياة الاجتماعية ، وأن تكون هذه الحياة قائمة على التواد والتحاب : لهذا تراه يحض على الألفـــة . فيقول صاحب الدعوة صلوات الله عليه : « لاخير فيمن لايألف ولا يؤلف . وخير الناس أنفعهم للناس » كما يقول : « لايشكر الله من لايشكر الناس » .

والقرآن الكريم مملوء بالآيات التى تحض الانسانية جمعاء على التعاون والسلام : قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » وقال عز من قائل : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » حتى لقد قال : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

كل هذا يبين للانسان وجهة الدين ورغبته في أن يعيش الناس في وئام وتآلف ومحبة .

وإذا كانت هذه هى مقاصد الدين الحنيف كان جليلاً أن من يعمل على إفساد هذه المبادىء ، وإحلال الكراهية محل المحبة ، والشقاق محل الوفاق ، والتفكك محل الارتباط . من يعمل هذا يكون عاملا على هدم أسس الاجتماع :

لهذا عنى الاسلام بتقبيح العيوب التى توصل الى هذه النتائج السيئة ، وببيان خطرها ، وسوء أثرها ، محذراً منها : لأنها معول يهدم صلات المحبة بين الناس .

فنهى عن السخرية بالآخرين رجالا ونساء فقال : « يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن » .

والسخرية هى الاستهزاء بالغير وإظهار الاحتقار به : ولم يكتف جل شأنه بالنهى المجرد . بل ضمن النهى نوعاً من التوبيخ وقال للساخر : مايدريك أن يكون من تسخر منه أفضل منك عند الله : فكان استهزاؤك بخلق الله سوء أدب مع الله ! فضلا عن دلالتها على خسة نفسك ، وسوء خلقك : إذ أن هذا سيجر الى القطيعة والشحناء . عكس ماتحض عليه الشريعة الغراء .

ومن هذه العيوب الغيبة : وهى ذكرك أخاك بما يكره . وسميت غيبة لأنها في الغالب تكون فى غيبة من تغتابه : وتكون بالقول والاشارة والتمثيل . فكل ماصدر عن الانسان مقصود به الحط من مكانة الآخر أو إغاظته فهو غيبة . حتى ولو كانت العيوب التى يغتابه بها موجودة فيه . فاذا لاقاه بها فى وجهه فهو بهتان وإخجال .

والغيبة من أقبح العيوب التي تدل على حقارة فاعلها وخلوه من أدب الدين والدنيا ، وبعده عن المروءة : وهي كذلك توجب القطيعة كالسخرية — وتؤدي الى هدم دعائم الألفة بين الناس .

أما النميمة وإن كانت نتيجتها نتيجة السخرية والغيبة ، تلك النتيجة التي هي القطيعة وإفساد القلوب ، إلا أنها شر أنواع الايذاء ، لأنها تعتمد على تزويق الحديث المختلق وإلباسه ثوباً منمنماً بديعاً في الظاهر ، ولكنه مطوي على شر مستطير ، وبلاء كبير .

وتسمى النميمة أيضاً وشاية « من وشيت الثوب جملته وزخرفته » ذلك أن النمام والواشي في سعايته في إفساد القلوب المؤتلفة بما يختلقه من الأكاذيب يجتهد أن يجعل كلامه مرصوفاً منمقاً لا بساً ما يشبه ثوب الصدق ، فما يزال يدأب على عمله حتى يترك الصديقين الحميمين — عدوين لدودين .

وربما كانت النميمة سبباً في إثارة الحروب وسفك الدماء كما كان يحصل بين الناس ، وكما هو حاصل في عصرنا هذا : وأنت إذا بحثت عن أسباب الخلافات المستحكمة بين بعض الأسر وبعض ، أو بين الأحزاب وبعض ، أو بين الشعوب وبعض لو بحثت لوجدت أن النميمة والسعاية هي أصل هذا البلاء ، وجرثومة ذلك الداء : فنفر منهما الشارع الحكيم ، وجعل المغتاب آكلا لحوم الموتى من الآدميين الأمر الذي تشمئز منه النفوس ، وتستبشعه الفطرة السليمة : قال تعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضاً . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه . واتقوا الله . إن الله تواب رحيم » .

فكل ما فرق بين القلوب المؤتلفة . وكل ما وصل الى العداوة والبغضاء والشحناء — كل هذا تقويض لدعائم الدين ، وعمل ضار بالمسلمين .

فالمسلمون وحدة قائمة على تبادل المحبة ، ولا يتحقق فيها الايمان الصحيح إلا بهذه المحبة . ولا يدخلون الجنة إلا بهذه المحبة ، ولا يعلو شأنهم ولا يعز سلطانهم إلا بهذه المحبة .

فالمحبة قطب تدور عليه رحى حياة المسلمين قاطبة : يقول الرسول الكريم ﷺ « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولن تؤمنوا حتى تحابوا » .

وما دامت هذه النقائص ـ وهي السخرية ، والغيبة ، والنميمة ـ وما إليها موجودة فى كثير من الناس فهى من أكبر عوامل الانحطاط . فمن حاربها فقد خدم الاسلام وأرجع اليه بهاءه وسلطانه ، ومن عمل على تنميتها بين الناس فهو عدو للدين ، عدو للانسانية ، عدو لنفسه .

طهر الله قلوبنا من هذه الأوباء ، وأجزل لنا برضوانه المثوبة والجزاء .

(١٩) المكر السيء وجزاء أهله

مضمون الآية الكريمة وبيان أنها كفيلة بجمع الفضائل . والبعد عن الرذائل . المكر السيء في جمع الدنيا وما يستلزمه من حيل ودهاء وعاقبة صاحبه . المكر السيء فى إيذاء الناس وعمل الحيلة فى ذلك وجزاء صاحبه دنيا وأخرى . ما يخفى على الناس لا يخفى على الله . ما يجب أن يكون عليه المؤمنون وجزاؤهم عند ربهم . الماكرون مكر السوء وجزاؤهم عند ربهم . الخبث والحقد والحسد شعاب من المكر السيء وهو على الجملة نفاق في صور شتى . إرشاد عام لطريق النجاة والسلامة .

قال الله تعالى : « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » .

. . . هذه آية كريمة من كتاب الله تعالى . جمعت من الحكمة ما لا تحيط

به الأفهام . بل إنها لتجمع الأخلاق الفاضلة كلها . وتنهى عن أمهات الرذائل كلها وتطهر القلوب من أدرانها ، فيصير بها العبد المتدبر لمعناها والواقف عند حدودها من المفلحين .

ذلك لأن الانسان فى هذه الحياة الدنيا كثيراً ماتخدعه زخارفها ، وكثيراً مايمتلىء قلبه بحبها . فاذا تمكنت هذه الرغبات من نفسه أخذ يحتال للوصول إليها .

وقد يفكر في أسباب خفية لايقرها الدين ، ولا ترضاها الأخلاق الفاضلة التى يحث عليها الدين — فيكون نصيب ذلك المحتال الطامع أن يبوء بالخسران المبين . لأنه مكر مكراً سيئاً فحاق به ذلك الجزاء المهين .

أما إذا سار في الحياة على هدى من الدين والأخلاق فانه ليس محتاجاً الى مكر ولا دهاء ولا احتيال . بل هو يطلب الغاية الشريفة من طريقها الشريف فيكون جزاؤه أن ينال مايرجو وهو من المفلحين .

قد يفكر الانسان فى إيقاع غيره فى المهالك . فيضمر الشر ويخفى مقصده السيء — ويعمل فى الخفاء كيداً ومكراً . فتكون النتيجة أن يوقعه الله فى حبائل كيده . وينقذ من كان يسعى في ضرره :

حكم عادل من الله . فمن حفر لأخيه بئراً وقع فيها . ومن سعى لأخيه فى مو بقة مهلكة فهو ملاقيها .

وقد أخبر الله تعالى أن العمل السيء لاتحيق عاقبته السيئة إلا بأهله . فهما ظن ابن آدم أن مافى قلبه خاف على الناس — وأن مكره ودهاءه كفيلان بنوال مقصوده فهو على ضلال مبين : لأن عالم الخفايا وما تكنه الطوايا مطلع

على ما في الضمائر — عليم بما في السرائر — يجازى المحسن إحساناً — والمسيء ذلا وهواناً .

والمؤمنون يجب أن يكونوا أطهاراً قلباً ونية ، أبراراً عبادة وطاعة ، فلا تنطوي قلوبهم إلا على حب الخير ، وعمل الخير ، وإيصال الخير ، لأهل الخير : أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

والماكرون مكر السوء ، المنطوية قلوبهم على الشر ، وحب الشر ، وعمل الشر ، وإيصال الشر الى عباد الله . أولئك هم شر الناس حقاً ، لهم خزى في الدنيا . ولهم فى الآخرة عذاب أليم .

ومن قبيل المكر السيء الخبث ، الذي هو إضمار الشر للناس مع إظهار الخير لهم ، واستعمال الغش والخديعة فى المعاملات ، فالذى يضمر الشر لغيره أو يغشه أو يخدعه ليس عنده شيء من حسن المعاملة للناس . ولاتصافه بهذه الصفات الذميمة يكون مكروهاً من جميعهم . ولا كرامة له عندهم .

ومن الخبث الحقد ، وهو الانطواء على العداوة والبغضاء وإضمار المرء الشر لمن عاداه إذا لم يتمكن من الانتقام منه ، فيخفى تلك الأحقاد الى وقت إمكان الفرصة .

والحقد أثر من آثار الحسد ، لأن سببه في الغالب التنافس فى شئون الدنيا وحب القهر والغلبة . وهو أثر من آثار النفس الأمارة بالسوء .

فالمكر في كل صوره من الأخلاق الذميمة التى لايرضاها لنفسه إلا من فسد عقله ومرضت نفسه فأصبح من أعداء الفضيلة ، وأولياء الرذيلة .

المكر في أى صورة من ذلك جريمة خلقية كبرى يجب أن يبتعد عنها الناس ولا يقربوها ، لأنها شعاب من النفاق فى صور مختلفة .

فمن أراد السلامة فى الدنيا من عقاب الله العاجل ، وأراد النجاة في الأخرى من عذاب الله الآجل ، فليطهر قلبه من خبائث المكر السيء في معاملته مع الناس . ويعمره بإيمان مصحوب بمكارم الأخلاق حتى يكون سعيد العيش فى الدنيا . مرضياً عنه فى الآخرة ، وذلك هو الفوز العظيم .

نعوذ بالله من شر النفوس التي لم تتأدب بالآداب الدينية ، ولم تهذبها التربية الأخلاقية ، ونسأله الهداية الى الصراط المستقيم .

(٣٠) غل الصدور وآثاره

حد الغل وإلحاقه بالحسد وما يجره على المجتمع من الآثار السيئة . استشهاد ديني لخطر الغلول القلبية . طهارة نفس الأبرار من هذه الصفة الذميمة وامتنان الله تعالى بذلك عليهم . الغل وإفساده لنظم الحياة وأضراره الفادحة . الغل مجلبة لشتى الجرائم ، تقريع وتوبيخ لذي الغل عن سوء خليقته وبيان غفلته عن يوم الحساب والعقاب ، بيان أن الراحة والسعادة في التخلي عن هذه الرذيلة وآثارها والتحلي بمكارم الأخلاق .

قال الله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا . ربنا إنك رؤوف رحيم » .

. . . إن كبرى الرذائل وأعظم الأرجاس الصفة التي تكمن فى النفوس

كـكمون النار فى الحجر فينزعزع منها ماسكن ، وتثير انفعالاتها فتظهر آثارها دماراً وشقاء على المجتمع .

هذه الصفة هى الغل ، الذى هو إضمار الكراهة والبغضاء للناس ، وهو قريب من الحسد ، لأن سببه في الغالب (كما قدمنا) التنافس فى شئون الدنيا . وحب القهر والغلبة . وهو من آثار النفس الأمارة بالسوء .

ولو لم يكن في ذم هذه الصفة إلا أن الله تعالى امتن بنزعها من صدور أهل نعمه إذ يقول في كتابه العزيز : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » لكان هذا أكبر دليل على شناعتها ، وعظم قبحها .

ولم تجر هذه الصفة على الناس إلا الويل والشقاء . وكم تلبدت فى سمائها غيوم دمرت القصور العالية ، وأزهقت كثيراً من الأرواح البريئة الطاهرة .

اطمح بنظرك أيها العاقل الى آثارها المغضبة لله تعالى تر الرجل كالصل ينفث السم لأخيه لوجود هذه الصفة في نفسه فيسعى فى إيذائه وإلحاق الضرر به بكل ما أوتى من قوة — وبوسائل يأباها الشرع وتشمئز منها الانسانية .

وقد تؤدى هذه الصفة في الغالب الى إراقة الدماء وكثير من الجرائم العظيمة التى يرتكبها المتصفون بهذه الصفة : « ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين » فيناقشهم فيما كسبته أيديهم . وكل امرىء بما كسب رهين .

إن الضغائن والأحقاد يترتب عليها الأذى والفساد . فيقعد كل لأخيه بالمرصاد — ويبذل فى ضرره مالديه من الاجتهاد : ومتى عم الفساد في الأرض وانتشر — فبشر الناس بداهية دهياء لاتبقى ولا تذر .

وفوق هذا فان التشاحن والبغضاء توجبان التنافر والتقاطع . ويصيب العباد بسببها الضنك والضيق والفقر المدقع . وهى من جنود الله تعالى يسلطها على الطاغين والباغين ، حتى يسحقهم بها فيصبحوا عبرة للناظرين ، ومثلا فى الغابرين ، وعلى مافعلوا نادمين . حيث لا ينفع الندم . بعد أن زلت القدم .

فالسلامة والراحة فى سلامة الضمير . وخلوه من الغل والحسد والحقد والبغضاء ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

نسأله تعالى أن يطهر قلوبنا من الأحقاد والبغضاء لعباده . وأن يبصرنا بعيوب أنفسنا . حتى نخرج من الدنيا طاهرين — ومن شرورها آمنين .

(٣١) الحسد

الناس بالنسبة لنعم الله على العباد قسمان : لايكره نعم الله على عباد الله إلا شر خلق الله ودليله . تعريف الحسد . علامات الحاسد الظاهرة والباطنة . الحسد ينتقم من حاسده لأن الحسد داء الجسد . الحاسد يرى زوال النعم عن الناس راحة لنفسه الخبيثة واطمئنانا لقلبه الأسود . موازنة بين الحاسد والكافر . الحاسد يرى نفسه أحكم وأعدل من الله ولذلك يعيب على الله تقسيم الأرزاق . الحاسد عدو لله . وعدو للناس . وعدو لنفسه . الحسد يسبب الغيظ . والغيظ يولد الغدر والخيانة والنميمة وما الى ذلك من الموبقات . علاج الحسد .

قال الله تعالى : «أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا . ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً . ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

. . . اعلموا أن نعم الله تعالى على خلقه لاتنقطع فاذا أعطى الله إنساناً من عباده نعمة ظاهرة كان الناس فى هذه النعمة بين اثنين : الأول : رجل يسر بتلك النعمة ويفرح لهـا ـ ويود لو منح هو أيضاً نظيرها : وهذا مسلم مؤمن يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه .

والثانى : رجل يتألم لتلك النعمة ألماً لايشفيه إلا زوالها عن صاحبها : وذلك هو الحسد الممقوت شرعاً : لأنه يدل على خسة النفس وشر كمين فى القلب وإلا فما الذى يضره إذا أصبح الناس كلهم في سعادة وهناءة ؟ ! ! لأنهم إن أصبحوا كذلك ـ فلا أقل من أن يكفى شرهم إن لم ينله شيء من خيرهم : ولا يكره نعمة الله على عباد الله ـ إلا شر خلق الله .

قال رسول الله ﷺ : إن لنعم الله أعداء فقيل : ومن هم : قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

والحسد هو تمنى زوال نعمة الغير . أو بعبارة أخرى هو تألم من لم يكمل إيمانه بما يراه عند غيره من الخير ومايجده فيه من الفضائل وتمنيه أن تزول تلك النعم عن غيره والاجتهاد فى إزالتها إن استطاع الى ذلك سبيلا .

وهو خلق بغيض وقبيح من كل أحد . مفسد للأعمال محبط للحسنات : قال رسول الله ﷺ : إياكم والحسد . فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

وللحاسد علامات ظاهرة وباطنة : لأنك تراه معتلا من غير علة ، مصفراً من غير مرض . ساكتاً ساهياً في غير تفكير . مظلم النفس . مظلم القلب . تحدثه نفسه أنه خير من الناس ولا خير فيه : وتحدثه أنه أزكى الناس وهو

أغباهم : سلطت عليه وساوس الحسد فأشعلت فى نفسه نار الغيظ ونار الحقد . وبذلك انتقم الله من حساد نعمته على الناس بهذا الانتقام العادل : ولذا قيل : الحسد ـ داء الجسد .

الحاسد فى ألم مستمر ، وفى غيظ مستمر . يسخط على الأقدار لأنها لم تسر على وفق هواه . وما هواه إلا أن يجرد الناس من النعم ـ ولو لم ينل منها شيئاً : لأنه يرى في ألم الناس وفي بؤس الناس وفي شقاء الناس راحة لنفسه الخبيثة . واطمئناناً لقلبه الأسود :

الحاسد أشد من الكافر مقتاً عند الله : لأن الكافر أنكر وجود الله ـ أما الحاسد فقد رأى نفسه أحكم من الله ، وأعدل من الله ، ولم يرضه فعل الله ، بل أسخطه وأهاج غضبه : فهو ثائر على الله لا يرضيه إلا تعطيل صفات الله ـ وجريانها طبق رغبته وهواه .

الحاسد يقول بلسان حاله لربه : إنك في تصرفاتك غير حكيم — وفي منحك النعم للناس لنفسي عذاب أليم .

فما بالك بمن هذا حاله ! ! أيعد من المؤمنين ؟ وهو أبعد عند الله من الملحدين .

الحاسد عدو لله ، وعدو الناس ، وعدو لنفسه :

عدو لله ـ لأنه لم يرض بما قسم الله لخلقه : وعدو للناس ـ لأنه يريد أن يسلب عنهم النعم التى أعطاهم الله إياها : وعدو لنفسه ـ لأن الحسد يحز فى نفسه حزاً ينغص عليه معيشته . ويكدر عليه صفو حياته .

ومن كان عدواً لله ، وعدواً للناس ، وعدواً لنفسه ، فالقرب منه شر

مستطير ، وبلاء كبير ، والبعد عنه نجاة من ويل كثير :

وعلى العموم فالحسد سبب كل قطيعة ، ومفرق كل جماعة : وإن تمكن من إنسان أفسد أخلاقه ، وأوقعه فى هوة الأخلاق الذميمة . من كذب ، وغدر ، وخيانة ، ونميمة ، متى وجد فيها ماينال به من محسوده : فتراه لاينفك عن غيبة المحسود وعن الخوض فى عرضه ، واتهامه بكل شأن اتهاماً كاذباً : لأنه يتقم لنفسه المستعرة بهذا الأذي فيبوئ نفسه النار ويفسد عليها آخرتها ومن خسر الدنيا والآخرة فقد ضل ضلالا مبيناً .

ويداوى الحاسد بما يداوى به الكافر — وذلك بتصحيح الايمان . بأن يعتقد أن الله هو الذي يمنح عباده أرزاقهم ، ويفاضل بينهم وبين بعضهم ويعتقد بأنه الحكم العدل يضع الأمور فى موضعها لحكمة قد نعلمها وقد يخفى علينا مكانها فلا نهتدي اليها . ويتعلم أن الله تعالى فضل بعض الناس على بعض فى الرزق . وفي الفضائل الأخلاقية . وأعطى كل إنسان من ذلك مايستحق : فيرضى بما قسمه الله له ولغيره ، ويتعلم أن يسر بسرور الناس المؤمنين — ويحزن لحزن الناس المؤمنين . باعتبار أنه فرد من الأسرة الاسلامية : فانه اذا صح إيمانه — وتعود هذه الأخلاق الفاضلة . زال أثر الحسد من نفسه . وأصبح من المسلمين : نعوذ بالله من الحسد . ومن شر الحسد . ومن شر كل حاسد اذا حسد : ونسأله تعالي أن يرزقنا القناعة والرضا بقضائه وقدره فى الدنيا . وأن يثيبنا في الآخرة بجنات النعيم .